

خطاب الأوسكار الذي لم يكتمل - مارلون براندو. | فلنحدث عن العنصرية: البلاك فيس | الوحدة الوجودية وحدود الموت حوار مع جوليا كريستيفا

النقطة الزرقاء

محمد شوقي
الزّين

القطيعة التي حصلت بين الطبيعة والثقافة هي مصيبة العصر.

يوسف صامت
بوحايك

سيكون للذكاء الاصطناعي دور كبير في إنقاذ الحياة البشرية في المستقبل القريب.



”من نقطة النظر البعيدة هذه، قد لا تبدو لمنصات التدوين أية أهمية خاصة. ولكن بالنسبة لنا الأمر مختلف. أعد النظر لتلك النقطة:

إنّها هنا!

إنّها الوطن!

إنّها نحن!

إنّها نقطة.. نقطتنا.. النقطة الزرقاء..“

ها هي "النقطة الزرقاء" تكمل دورتها الثانية حول الشمس، دورة أخرى من العمل التطوعي المحترف، العطاء الجاد، وروح المبادرة، مفتوحة عامها الثالث بنفس الرغبة والطموح، وبذات الهدف ووضوح الرؤية -كزرقاء يمامة، وكثورة زرقاء على واقع الثقافة والترجمة، تصنع المحتوى وتجعل "العالم" مكاناً أجمل.

بعد عامين على التأسيس ومئات المقالات والترجمات، تسعد المنصة بإطلاق أول عدد من مجلتها الإلكترونية، بإمكانياتها الخاصة، وبمطوعاتها الشباب، الذين ينفقون وقت فراغهم في توفير محتوى عربي إلكتروني محترم، محترف ومعاصر. يسعون إلى أن يسمعوا صوته، ويبرزوا قدرتهم على مواجهة العراقيل بخلق البديل، أن يرفعوا بهذه المجلة مستوى الرسمي والكائن، وأن يفتحوا التحدي لما سيكون.

تهدف المجلة إلى إظهار جدية واحترافية مبادرة النقطة الزرقاء في سعيها لتكون مرجعاً في القراءة والترجمة، ومنبراً للشباب الذي يستحق فضاءات من الضوء، وما النقطة الزرقاء إلا نقطة ضوء في عالم مظلم، تسعى أن تحتك بنقاط مضيئة أخرى، وتلهم أخرى.

كل الشكر والتقدير لمن ساهم في إنجاح هذا العدد، من مصممين ومترجمين ومدونين ومحررين، وشكر لضيبي العدد على وجه الخصوص، الدكتور محمد شوقي الزين، والأستاذ يوسف صامت بوحايك، الذين تفاعلا مع الحدث بكل احترام وتواضع.

تحرير :

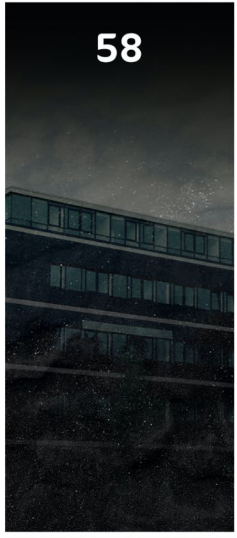
- عمر دريوش
- أميرة بوسجيرة
- نصر الدين بلبكري
- بشرى بوخالفي
- منال بوخزنة

تصميم :

- رامي نزلي
- عبد الرزاق حجاج

الفهرس

58



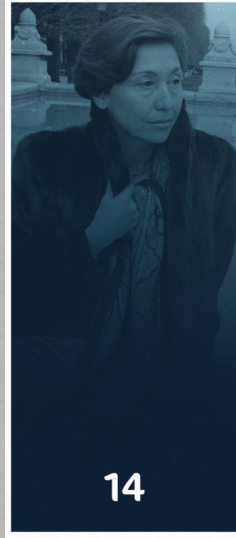
41



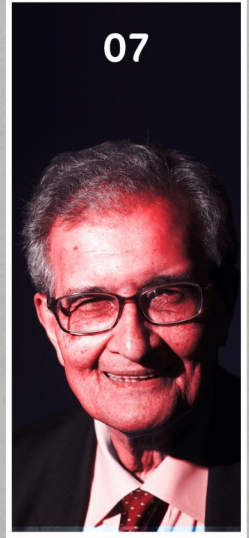
14



14



07



36 الأدب في أغاني الكيبوب – Kpop

41 يوسف صامت بوحايك: سيكون للذكاء الاصطناعي دور كبير في إنقاذ الحياة البشرية في المستقبل القريب.

46 لقد كان اسمه كليفتون وقد كان أسودا وقد أودوه قتيلا.

50 ذنبي الوحيد هو أنني أسود يحب المشي.

58 التاريخ العنصري للجمعية العلمية ماكس بلانك.

62 فلنتحدث عن العنصرية: البلاك فيس.

66 هاربيت بيتشر ستو.. قصة حياة أمة.

70 قنديل أم هاشم ومعضلة البحث العلمي في الجزائر.

73 الرافعي: من الشعر حتى النقد.

80 مراجعة رواية حياة مستقرة.

83 كل يوم هو يوم الأرض: 365 كتابا لتبدأ مكتبة تغير المناخ الخاصة.

05 أين كان كورونا قبل أن يظهر في ووهان الصينية؟

07 أمارتيا سن: قد يبدو التغلب على جائحة بمثابة خوض حرب، لكن الحاجة الحقيقية أبعد ما تكون عن ذلك.

10 الانطوائيون و"حرية" الحجر الصحي

11 من الطاعون إلى فيروس كورونا، 7 أشياء يجب معرفتها عن تاريخ الأوبئة!

12 نعيم تشومسكي: نقص أجهزة التنفس الاصطناعي تفضح فظاعة الرأسمالية النيوليبرالية

14 الوحدة الوجودية وحدود الموت: حوار مع جوليا كريستيفا

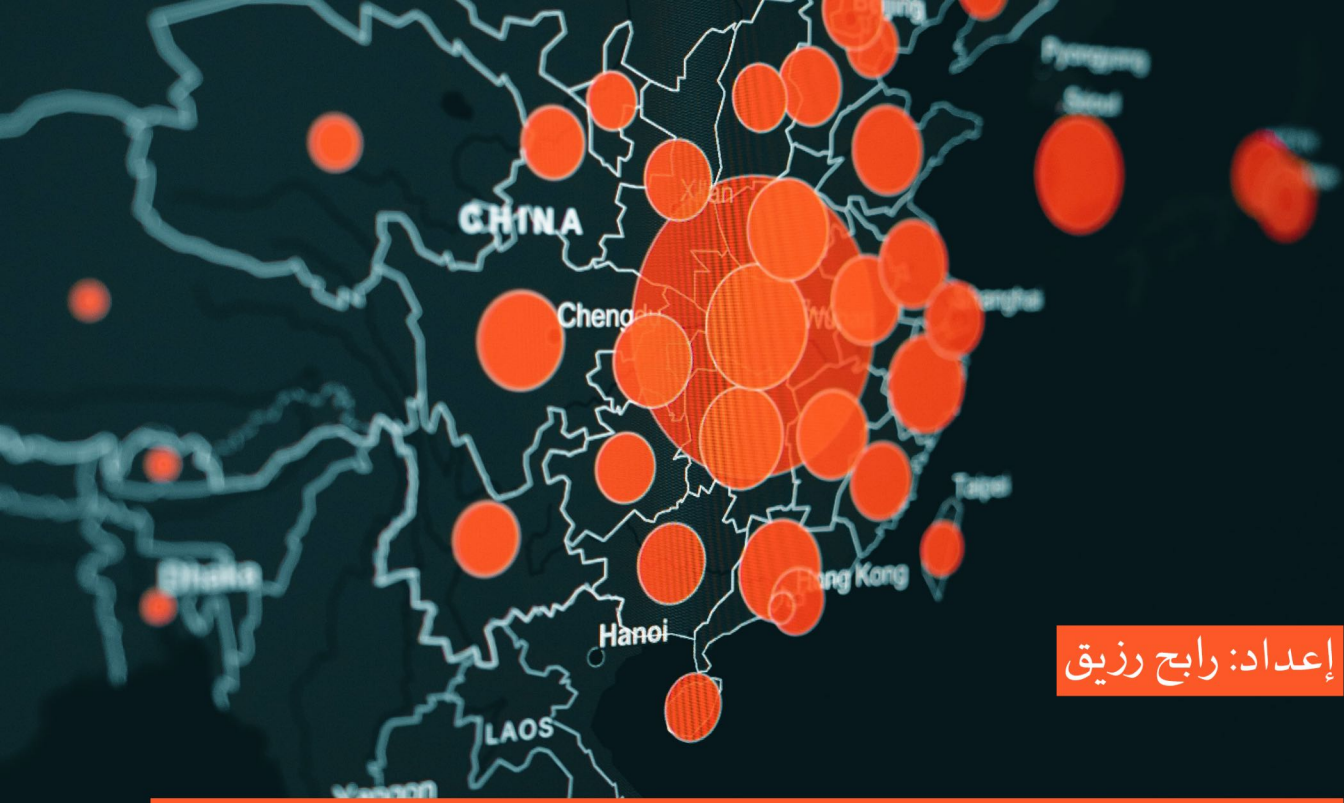
16 محمد شوقي الزين: القطيعة التي حصلت بين الطبيعة والثقافة هي مشكلة العصر.

23 خطاب الأوسكار الذي لم يكتمل – مارلون براندو.

27 بونغ جون هو: من الصعب التخلص من الخوف.

30 مراجعة فيلم Les Intouchables: صداقة غير اعتيادية.

33 إدوارد هوبر، فنان التباعد الاجتماعي.



إعداد: رابح رزيق

أين كان كورونا قبل أن يظهر في ووهان الصينية؟

في عام 1994، ظهر فيروس في منطقة "هندرا" في جنوب شرق أستراليا وأودى بحياة عشرات الخيول والأحصنة، استطاع بعدها أن ينتقل إلى الإنسان ويقتل بضع أشخاص.

هذا الفيروس -الذي عُرف باسم فيروس هندرا- ليس معروفا بالشكل الكافي إلا عند علماء الفيروسولوجيا (علم الفيروسات) لأنه لم يكن خطيراً ولم يقتل من البشر إلا القليل، على عكس فيروس الإنفلونزا الإسبانية التي أودت بحياة 20 مليون شخص بعد الحرب العالمية الأولى، أو فيروس إيبولا أو السارس أو الإيدز أو كورونا... لكن ثمة حقائق بشأن هذا الفيروس مشتركة مع أغلب أنواع الفيروسات الأخرى ذات المنشأ الحيواني، ومعرفتها تمكننا من فهم حقيقة لماذا ظهر فيروس كورونا المستجد في ووهان الصينية.



وبسبب سوق اللحوم غير القانوني في ووهان الذي يضم بيع وشراء وذبح حيوانات مختلفة كالخفافيش والفئران والقطط والكلاب... ظهرت أول إصابة وكانت الجائحة.

كان أحد الحيوانات في السوق الشعبية بووهان حاملاً لفيروس كوفيد 19، وحسب أحدث التقارير المختصة فإن هذا الفيروس موجود لدى الخفافيش، تماماً مثل فيروس هندرا، لكنه لم ينتقل إلى الإنسان مباشرة من أحد الخفافيش، مثلما لم ينتقل هندرا من الخفاش إلى الإنسان بطريقة مباشرة. احتاج كوفيد 19 إلى وسيط يُرجح أنه أكل النمل الحرشفي الذي يتم استهلاك لحمه في الصين.

من غير المستبعد أن يتحول فيروس كورونا المستجد إلى إنفلونزا موسمية مثله مثل الإنفلونزا العادية إذا ما استطاع هذا الفيروس أن يطور من خصائصه الجينية ويتكيف بشكل جديد مع الإنسان، تماماً كما يمثل إنفلونزا عادية بالنسبة

للخفافيش، لكن يبدو أنه لا يشكل خطراً عليها بسبب طبيعة المناعة التي تمتلكها، وإذا استمر كورونا المستجد في إصابة البشر خلال السنوات المقبلة قد تطور مناعة الجسم البشري من خصائصها المضادة وبالتالي ينقص عدد الهالكين بسبب هذا الفيروس، تماماً مثلما يحدث مع الأنفلونزا العادية.

المعركة الآن كبيرة وشاقة أمام المجتمع الدولي وأمام علماء الفيروسات، لإيجاد لقاح مناسب لكورونا، والبداية لا بد وأن تكون من ووهان الصينية، من البحث في النظام البيئي هناك والبحث في الجهاز المناعي للخفافيش على وجه الخصوص.. كل ما يجري اليوم لا بد وأن يكون درساً للبشرية من أجل الحفاظ على نظامها الإيكولوجي وعدم الاعتداء عليه.

حسب العلماء المختصين فإن سبب ظهور فيروس هندرا مثل الفيروسات الشهيرة ذات المنشأ الحيواني، يعود أساساً إلى اعتداء الإنسان على النظم الإيكولوجية للطبيعة. كما هو الحال بالنسبة لفيروس كورونا المستجد المعروف بكوفيد 19، فقد كان كذلك بسبب هذا الخطأ الإنساني.. اعتداء الإنسان على النظام البيئي، وجب على العلماء والمختصين العودة إلى ووهان الصينية لفهم الذي جرى بالضبط. المعروف عن بيئة أستراليا أنها لم تحتو على خيول أو أحصنة قبل أن يأتي بها الإنجليز في أواخر القرن الثامن عشر (حوالي 1790)، والبداية كانت بتسعة (9) من الخيول لتتكاثر بعدها وتصبح الخيل في أستراليا أمراً مألوفاً. العجيب أن

فيروس هندرا كان موجوداً عند حيوانات الخفافيش المنتشرة بكثرة في جنوب شرق أستراليا، وقد أخذ حوالي قرنين من الزمن قبل أن ينتقل إلى الخيل، ثم إلى الإنسان مباشرة. احتمال

ما حدث أن خيلاً ما قد تناول أعشاباً ملوثة بالفيروس بعد أن تبول عليها أحد الخفافيش المصابة، ومنه إلى مالك الخيل بفعل الاحتكاك بينهما، الذي حدث هو أن فيروس هندرا استطاع أن يطور من خصائصه الجينية ويتكيف بشكل جديد مع الجهاز التنفسي للخيل، ومن ثمة تكيف كذلك مع الجهاز التنفسي للإنسان.

على الأرجح أن فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) كان موجوداً منذ عشرات أو مئات السنين، يكمن الفرق في أنه قد طور من خصائصه الجينية لينتقل من الحيوان إلى البشر، ليتكيف مع الإنسان بشكل جديد. كان كوفيد 19 غالباً موجوداً لدى نوع ما من الحيوانات، قد تكون الخفافيش، أو القروود...

**كل ما يجري اليوم لا بد وأن يكون
درساً للبشرية من أجل الحفاظ على
نظامها الإيكولوجي وعدم الاعتداء عليه.**

أمارتيا سن:

قد يبدو التغلب على جائحة
بمثابة خوض حرب، لكن الحاجة
الحقيقية أبعد ما تكون عن ذلك.

أمارتيا سن، الحاصل على
جائزة نوبل في الاقتصاد
إثر اشتغاله في دراسات
اقتصاد الرفاه، ونظرية
الخيار الاجتماعي، العدالة
الاجتماعية والاقتصادية
ومؤشرات قياس رفاه
مواطني الدول النامية.
هو أستاذ جامعة توماس
دبليو لامونت وأستاذ
الاقتصاد والفلسفة في
جامعة هارفارد.

ترجمة: رامي نزلي وعمر دريوش



رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر، والتي كانت تتقدم بشكل سيء في استطلاعات الرأي قبل حرب الفوكلاند عام 1982، على تصويتات عالية من الحرب (كما تفعل الحكومات المسيطرة في كثير من الأحيان)، وفازت بشكل مريح في الانتخابات العامة التي أعقبت ذلك في عام 1983.

كما أن الانتخابات العامة في النظام البرلماني تتعلق في المقام الأول بالحصول على أغلبية المقاعد في مجلس النواب، إذ لا توجد قاعدة رسمية حول مصالح أو حقوق الأقليات في نظام التصويت. وبالنظر إلى أنه إذا كان جميع الناس سيصوتون وفقًا لمصالحهم الشخصية، لن تصبح الانتخابات منقذا قويا لضحايا المجاعة، لأن من يتصور جوعاً في كل فترة مجاعة هي أقلية صغيرة فقط من الناس. ومع ذلك، فإن الصحافة الحرة والنقاش العام المفتوح يجعل المحن والأخطار التي يواجهها الفقراء الضعفاء معروفة ومفهومة من قبل الجمهور بشكل عام، مما يزعزع استقرار الحكومة التي تسمح بحدوث مثل هذه الكوارث. بالطبع، قد تتأثر الحكومة نفسها بشكل مباشر بما يتعلمونه من المعلومات والتحليلات الناشئة عن المناقشة العامة، بما أنها قد تدار أيضاً من قبل أشخاص وأطراف قادرة على التعاطف والتفاهم البشري.

على الرغم من أن أقلية فقط قد تواجه في الواقع الحرمان بسبب المجاعة، لكن الأغلبية المستمعة المستنيرة من خلال المناقشة العامة والصحافة الحرة، يمكن لها أن تجعل الحكومة تستجيب. يمكن أن يحدث هذا إما من خلال التعاطف (عندما تكون الحكومة مهتمة)، أو من خلال الكراهية التي قد تنتج عن تقاعسها (عندما تظل الحكومة غير مكترثة). يساعد تحليل جون ستيوارت ميل للديمقراطية على أنها "حكم عن طريق المناقشة" على تحديد منقذ ضحية المجاعة المهددة، ولا سيما الصحافة الحرة والمناقشة غير المقيدة.

إن معالجة الكارثة الاجتماعية ليست مثل خوض حرب تفوز فيها عندما يمكن للقائد استخدام القوة من أعلى إلى أسفل ليطلب من الجميع القيام بما يريده القائد - دون الحاجة إلى التشاور. في المقابل، ما هو مطلوب للتعامل مع الكوارث الاجتماعية هو الحكم التشاركي وتنبه المناقشة العامة. قد يكون ضحايا المجاعة بعيدين اجتماعياً عن عامة الناس الأكثر رخاءاً نسبياً، وبالتالي يمكن أن يكون هنالك مصابين آخرين في كوارث اجتماعية مختلفة، ولكن الإنصات إلى المناقشة العامة يجعل صانعي القرار السياسي يفهمون ما يجب القيام به. ربما

نستطيع أن نفخر أن الهند هي أكبر ديمقراطية في العالم، وأنها أيضاً أقدم دولة في العالم النامي. وبالإضافة إلى إعطاء الجميع صوتاً، فإن الديمقراطية توفر لنا العديد من المنافع العملية. ومع ذلك، يمكننا أن نسأل ما إذا كنا نستخدمها الآن بشكل مناسب عندما تكون البلاد التي تواجه أزمة صحية عملاقة في أمس الحاجة إليها.

قليل من التاريخ. مع نهاية الراج البريطاني، بدأت الديمقراطية التي تأسست حديثاً في الهند تؤتي ثمارها العملية على الفور. توقفت المجاعات التي كانت تحدث باستمرار طوال تاريخ الحكم البريطاني الاستبدادي فجأة مع إنشاء الهند الديمقراطية. كانت المجاعة الأخيرة وهي مجاعة البنغال عام 1943، (التي شاهدها كطفل قبل الاستقلال) بمثابة نهاية للحكم الاستعماري. لم تشهد الهند مجاعة منذ ذلك الحين، وتم القمع بحزم تلك التي هددت بالظهور في العقود الأولى بعد الاستقلال.



أم معدمة وطفلها من مجاعة البنغال سنة 1943

كيف حدث هذا؟ تمنح الديمقراطية للحكومة حوافز قوية للغاية للعمل بجد لانتفاء المجاعات. يتعين على الحكومة الاستجابة بسرعة لاحتياجات الناس بسبب تركيبة من المناقشة العامة والانتخابات. ومع ذلك، فإن الانتخابات وحدها لا تستطيع القيام بذلك. في الواقع، لا يمكن فهم الديمقراطية أبداً على أنها نظام انتخابات حرة فقط، متقطعة، وغالباً ما تكون بينها فجوات زمنية كبيرة، والتي يمكن أن تتأثر بالإثارة التي يولدها السياق السياسي المباشر. فعلى سبيل المثال، حصلت

في الهند، سيتوجب أن ترتبط الآلية المؤسسية لإبقاء الفقراء بعيدين عن الحرمان والعوز بظروفها الاقتصادية الخاصة. ولكن ليس من الصعب التفكير في ترتيبات وقائية محتملة، مثل تخصيص المزيد من الأموال العامة لمساعدة الفقراء (التي تحصل في الظروف الراهنة على تخصيص صغير نسبياً في الميزانية المركزية)، بما في ذلك ترتيبات التغذية على نطاق وطني واسع، والاعتماد على الـ 60 مليون طن من الأرز والقمح التي لا تزال غير مستخدمة في مخازن مؤسسة الغذاء في الهند. كما أن الطرق والوسائل لإعادة العمال المهاجرين النازحين إلى منازلهم، واتخاذ الترتيبات لإعادة توظيفهم، مع الانتباه لحالتهم المرضية ورعايتهم الصحية، تمثل أيضاً تحديات صعبة تتطلب الاستماع بعناية بدلاً من اتخاذ قرارات غير مرنة دون استشارة مناسبة.

الاستماع أمر أساسي في مهمة الحكومة لمنع كارثة اجتماعية - سماع ماهية المشاكل، وأين تضرب بالضبط، وكيف تؤثر على الضحايا. بدلاً من تكميم وسائل الإعلام وتهديد المعارضين بتدابير عقابية (والبقاء سياسياً دون اعتراض)، يمكن أن تتم مساعدة التسيير الحكومي بشكل كبير من خلال مناقشة عامة مستنيرة. قد يبدو التغلب على جائحة بمثابة خوض حرب، لكن الحاجة الحقيقية أبعد ما تكون عن ذلك.

إن معالجة الكارثة الاجتماعية ليست مثل خوض حرب تفوز فيها عندما يمكن للقائد استخدام القوة من أعلى إلى أسفل ليطلب من الجميع القيام بما يريده القائد - دون الحاجة إلى التشاور. في المقابل، ما هو مطلوب للتعامل مع الكوارث الاجتماعية هو الحكم التشاركي وتبنيه المناقشة العامة.

كان نابليون أفضل بكثير في القيادة عكس الإنصات، لكن هذا لم يعرقل نجاحه العسكري (باستثناء ربما في حملته الروسية). ومع ذلك، للتغلب على الكارثة الاجتماعية، فإن الإنصات ضرورة دائمة. وينطبق هذا أيضاً على الكارثة التي يسببها الوباء، حيث قد يكون البعض - الأكثر رخاءاً - قلقاً فقط بشأن عدم الإصابة بالمرض، بينما يتعين على الآخرين القلق أيضاً بشأن كسب الدخل (والتي قد تكون مهددة من قبل المرض أو من خلال سياسة مكافحة المرض مثل الحجر المنزلي) و - بالنسبة لأولئك الذين هم خارج الوطن كعمال مهاجرين - حول إيجاد وسائل للعودة إلى الوطن. يجب معالجة الأنواع المختلفة من المخاطر التي تعاني منها المجموعات المختلفة، وهذا يساعده إلى حد كبير الديمقراطية التشاركية، لا سيما عندما تكون الصحافة حرة، والمناقشة العامة غير مقيدة، وعندما يتم إعلام الأوامر الحكومية بالاستماع والتشاور.

في الأزمة المفاجئة في الهند الناشئة عن انتشار كوفيد-19، من الواضح أن الحكومة كانت على حق في القلق من وقف انتشار المرض بسرعة. إن التباعد الاجتماعي كعلاج مهم أيضاً، وقد تم تفضيله بشكل صحيح في اتخاذ القرارات السياسية الهندية. ومع ذلك، تنشأ المشاكل من حقيقة أن السعي أحادي التفكير لإبطاء انتشار المرض لا يميز بين المسارات المختلفة التي يمكن اتخاذها في هذا السعي، والتي يمكن أن يؤدي بعضها إلى كارثة وخراب في حياة ملايين عديدة من الفقراء، بينما يمكن للآخرين أن يساعدوا بشكل مفيد في وضع سياسات في الحزمة التي تمنع مثل هذه المعاناة.

العمل والدخل هما الشاغلان الأساسيان للفقراء، ورعاية خاصة للحفاظ عليهم كلما تعرضوا للخطر هو شرط أساسي لوضع السياسات. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنه حتى الموت جوعاً والمجاعات ترتبط بشكل سبيعي بعدم كفاية الدخل وعجز الفقراء عن شراء الطعام (كما أظهرت دراسات اقتصادية مكثفة). إذا كان الإغلاق المفاجئ يمنع ملايين العمال من كسب مدخول، فإنه وفقاً لبعض المقاييس لن يكون الجوع بعيداً. حتى الولايات المتحدة، التي تعتبر في الغالب اقتصاداً أساسياً للمؤسسات الحرة (وهو الحال على نواح كثيرة)، وضعت دعماً للدخل من خلال الإنفاق الفيدرالي الضخم للعاطلين والفقراء. لعبت المناقشة العامة جزءاً مهماً في ظهور وقبول تدابير الحماية الاجتماعية هذه في أمريكا، بما في ذلك تأييد المعارضة السياسية.



يمكنكم قراءة المقال كاملاً
عبر موقع النقطة الزرقاء

ترجمة: أمينة صابور

الانطوائيون، و"حرية" الحجر الصحي

بتعبير أكثر مرحاً، هو انقطاع شبه كامل عن المحادثات الصغيرة، وفرصة نادرة للتركيز. إضافة لذلك، العزل الاجتماعي لا يعني بالضرورة قطع التواصل، قطعاً لا في عصر Zoom. على عكس المكاتب المفتوحة على بعض، يمكن إطفاء الإشعارات الصادرة من Zoom.

وبالتالي، يكون الانطوائيون أقل قابلية للشعور بالفراغ، العزلة والملل من المنفتحين، وأكثر استعداداً للشعور بالتحفيز، بل من شأنهم أن يكونوا أكثر ترحيباً بنقص التشويش للغوص أكثر في أي أمر كان. يمكن للخلوة أن تجعل الأشخاص مبدعين. وأظن أنه خلال وضعيات الإغلاق التام هاته حول العالم، هناك انطوائيا هنا وهناك يقوم في هذه اللحظة بدمج كل من اهتمامه، إبداعه وإنتاجيته ليشكل سمفونية ما، يطور خوارزمية، يرسم لوحة أو يكتب كتاباً. أو ببساطة، يقضي وقته بعيداً عن المقاطعات مع طفل أو زوجة.

وفي نقطة ما، سيختفي فيروس الكورونا، تاركاً إيانا جميعاً، انطوائيين ومنفتحين، في سلام لنختلط مجدداً. إلى ذلك الوقت، يمكننا أن نفترض أن أمراً حسناً يمكن أن يولد من الوقت الذي نعيشه.

(*) رواية لهرمان هسه

- يمكنكم قراءة المقال كاملاً عبر موقع النقطة الزرقاء -

ينتمي هذا العالم المعاصر في الأوقات الطبيعية، أي بدون أوبئة ولا حجر صحي، للمنفتحين اجتماعياً. في مكاتبنا المفتوحة على بعض، نرى أن ذلك الذي يتحرك كفراشة ويقوم بعصف ذهني مسموع حتى في حجرة المؤن، لاعب أحسن للفريق من ذئب البرازي* الكتوم المنكب على لوحة المفاتيح، وهكذا. لكن وفي الأعوام الأخيرة، بدأ مجتمع الانطوائيين بحملة لتغيير هذا الطرح، دون مضادة للسلطة من المنفتحين، لكن ببساطة لئتم تقبلهم هم أيضاً كمن يملك شيئاً قيماً لإضافته. يتبدى الكثير من الخلط والحيرة، حين الحديث عما تعنيه الانطوائية وما يعنيه الانفتاح فعلاً. يحتاج الأشخاص المنفتحون أشخاصاً آخرين، للحديث معهم، ليشحنوا طاقتهم. عندما يكونون وحيدين، يشعرون غالباً بأنهم مفرغون ومعزولون. أن يكون أحد هؤلاء لوحده، يعني ببساطة أنه وحيد.

أما الانطوائيون؛ فتستنزفهم محادثة صغيرة فوضوية وعشوائية، تتعبهم الحركية المائعة لحفلة مشروبات، ويربكه أولئك الذين يتحدثون دون أن يفكروا خلال ما يزعم أنها حصص للعصف الذهني المبدع. يحب الانطوائيون التفكير، القراءة، الخوض أو مناقشة أمراً بشكل معمق. من شأن الأشياء الجيدة أن توجد أثناء التعمق.

السؤال الآن هو: ما هو المغزى من الحجر الصحي؟ "العزل الاجتماعي"، طبعاً. بالنسبة لشخص منفتح، هذا التعبير ينطوي على تناقض. أما بالنسبة لانطوائي، فهو وضع مثالي.



يمكنكم قراءة المقال كاملاً
عبر موقع النقطة الزرقاء

ترجمة: سارة كعبوش

تدقيق لغوي: سارة ريشان

من الطاعون إلى فيروس الكورونا، 7 أشياء يجب معرفتها عن تاريخ الأوبئة!

ما هو "جدار الطاعون"؟

في عام 1720، وصل قارب محمل بالحرير والأقمشة الشرقية الثمينة الأخرى الموجهة إلى معرض "باوكير" في "مارسيليا". كانت الأنسجة مليئة بالبراغيث الملوثة. الشر في الميناء، خلال مدة شهر إلى شهرين، انتشرت في منطقة "بروفانس" بالكامل. أخذت السلطات الملكية الأمور على محمل الجد وتم وضع المنطقة كاملة تحت الحجر الصحي. وضع الجنود حواجز الطرق وأطلقوا النار على أي شخص يحاول عبورها. تم رمي الطرود من بعيد إلى الأشخاص التعساء الذين لم يسمح لهم بالمغادرة.

من أجل حماية منطقة "كومتات فينيسين - Comtat Venaissin" التابعة إلى البابا آنذاك، أمرت السلطات البابوية ببناء جدار طويل من الحجارة الجافة على بعد 36 كيلومتراً، مشيدة في جبال "فوكلو"، تتخلله أكشاك، ومحطات حراسة، وتحرسه دوريات دون توقف. كما يمكن للمرء أن يرى آثاراً لها في الريف الجميل في مدينة "لوبيرون - Lubéron"، حتى أننا نجد ممراً للمشاة لمسافات طويلة يتبع الطريق. إن أولئك الذين ستسنع لهم الفرصة لقطعه في غضون بضعة أشهر، بمجرد انتهاء كابوسنا الحالي، سوف ينظرون إليه بعين عاطفية للغاية.

من أين يأتي اسم اللقاح؟

منذ زمن بعيد، أدرك الصينيون مبدأ الحصانة، وخاصة في مواجهة الجدري: إذا أصيب به الشخص مرة، فلن يصاب به من جديد، مرة أخرى. وهكذا ولدت فكرة أنه بالنجاح في نقل شكل ضعيف من أشكال المرض إلى فرد ما، فإنه يحميه لبقية حياته منه. وقد انتقلت طريقة التطعيم إلى الإمبراطورية العثمانية، ووصلت إلى أوروبا في القرن الثامن عشر. إنها طريقة محفوفة بالمخاطر، لأننا لا نضمن أبداً عدم نقل الشكل الخطير من المرض إلى الإنسان. إلى أن وجد الطبيب الإنجليزي "إدوارد جينر" (1749-1823) المخرج. وجد أن المزارعين لا يصابون بالجدري أبداً، ولاحظ أن أيديهم مغطاة ب ندوب ناتجة عن مرض الوقس (مرض جدري البقر: نوع من أنواع الجدري، من نفس عائلة مرض الجدري البشري، يصيب البقر، وهو مرض غير قاتل للإنسان يصيبه بالحمى لأيام فقط). وبهذه الطريقة، تم تطوير أول لقاح في نهاية القرن الثامن عشر. إن الحيوانات تلوّثنا. كما أنها تنقذنا.

- يمكنكم قراءة المقال كاملاً عبر موقع النقطة الزرقاء -

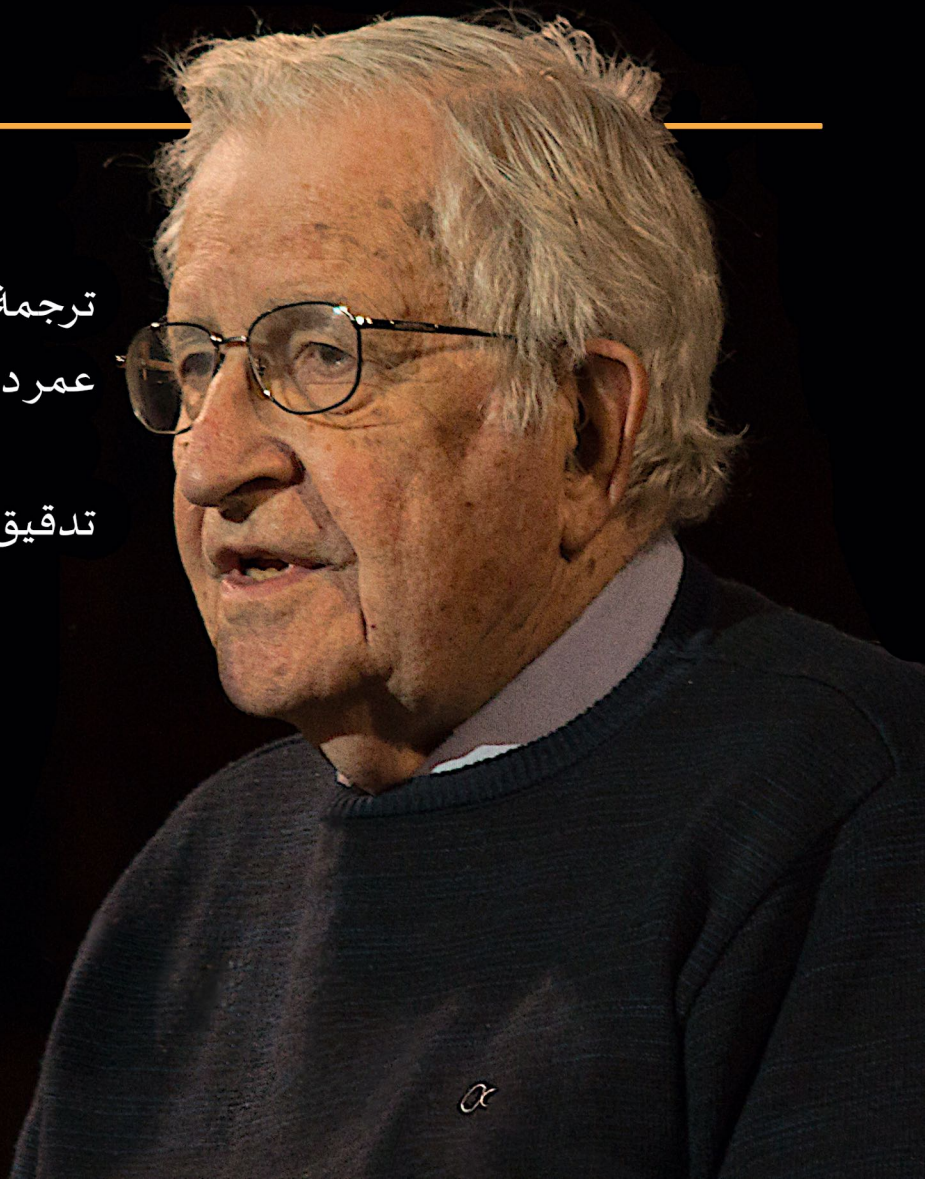
نعوم تشومسكي: نقص أجهزة التنفس الاصطناعي تفضح فظاعة الرأسمالية النيوليبرالية.

ترجمة: سجاد ثائر، سماح صلاح،
عمر دريوش ونصر الدين بلبكري

تدقيق لغوي: ربيعة كرنيف



يمكنكم قراءة المقال كاملاً
على موقع النقطة الزرقاء



لقد كانت هناك ردود أفعال مختلفة لانتشار هذا الفيروس. يبدو أن الصين قد قامت بالسيطرة عليه، على الأقل حتى هذه اللحظة. ونفس الشيء ينطبق على الدول المحيطة بالصين، حيث اهتموا بعلامات الخطر والإنذار منذ البداية، ومن ضمنها ديمقراطيات ليست بأقل فعالية من الديمقراطيات المتواجدة في الغرب. قامت أوروبا بالملاحظة بصورة عامة، ولكن بعض الدول الأوروبية أخذت زمام المبادرة. تملك ألمانيا أقل معدل وفيات في العالم، وذلك بفضل وجود المنشآت الطبية الاحتياطية وعملية التشخيص الواسعة، بالإضافة للاستجابة السريعة. ونفس الشيء ينطبق على النرويج. لقد كانت استجابة بوريس جونسون في المملكة المتحدة مخجلة. واستجابة ترامب هي الأسوأ.

على أي حال، لم تمتد العناية الألمانية للناس خارج حدودها. لقد أثبت الاتحاد الأوروبي أنه أي شيء إلا "اتحاد". رغم ذلك،

يمكن للمجتمعات الأوروبية المرهقة اللجوء إلى ما وراء الأطلسي طلباً للمساعدة. لقد أثبتت السلطة الكوبية أنها مستعدة للمساعدة مرة أخرى عن طريق الأطباء والمعدات. وفي تلك الأثناء، كانت جارتها الولايات المتحدة تقطع المساعدات الغذائية

عن اليمن، حيث ساعدت هناك في خلق أكبر أزمة إنسانية في العالم، وقد كانت تستغل هذه الأزمة الصحية المدمرة لكي تُضيق الخناق على أعدائها المحددين باستخدام عقوباتها الظالمة لكي تضمن أقصى درجات المعاناة بحقهم. كوبا هي أكبر الضحايا عمراً، منذ أيام الحروب الإرهابية والخنق الاقتصادي لكينيدي، لكنها نجت بأعجوبة.

من المفترض، أن تكون المقارنة صادمة ومربكة جداً بالنسبة للشعب الأمريكي ما بين السيرك في واشنطن وما بين تقارير أنجيلا ميركل المتزنة، الدقيقة، والواقعية الموجهة للشعب الألماني عن كيفية التعامل مع هذا الوباء.

يبدو أن الخاصية المميزة في التعامل مع هذا الوباء ليست سواء أكان المجتمع "ديمقراطياً أو استبدادياً" ولكن سواء أكان المجتمع "فاعلاً أم معطلاً"، إن الدولة التي توصف بحسب البلاغة الترامبية بالدولة "القدرة"، هي بالضبط شكل الدولة التي يقوم ترامب بصياغتها تحت حكمه حالياً.

سي جي بوليكرونيو: نعوم، تفشَّى المرض الناجم عن فيروس كورونا المستجد في معظم أنحاء العالم، إذ تعاني الولايات المتحدة الآن من حالات إصابة أكثر من أي بلدٍ آخر، بما في ذلك الصين منشأ الفيروس. هل هذه تطورات مفاجئة؟

نعوم تشومسكي: حجم الوباء مثير للدهشة، صادم بالفعل، ولكن ليس في مظهره فحسب، ولا في حقيقة أن الولايات المتحدة لديها أسوأ سجل في الاستجابة للأزمة.

لقد حذر العلماء من جائحة لسنوات، وبإصرار منذ وباء سارس عام 2003، الناجم أيضاً عن فيروس تاجي، والذي تم تطوير لقاحات له لكنها لم تتجاوز المرحلة قبل السريرية. كان هذا هو الوقت المناسب للبدء في تطبيق أنظمة الاستجابة السريعة استعداداً لتفشي وباءٍ ما وتخصيص طاقة احتياطية قد تكون لازمة. كان من الممكن أيضاً المبادرة لتطوير دفاعات وأنماط علاج لحالة التكرار المحتمل لفيروسٍ ذي صلة.

لكن الفهم العلمي ليس كافياً. يجب أن يكون هناك شخصٌ يلتقط الكرة ويجري بها. تم منع هذا الخيار من قبل باثولوجيا النظام الاجتماعي والاقتصادي (*باثولوجيا تعني حرفياً علم الأمراض، ويقصد هنا تشومسكي النظام الذي يشير

إليه بالثقافة المرضية). كانت إشارات السوق واضحة: ليس هناك أي ربح في منع وقوع كارثة مستقبلية. كان يمكن للحكومة أن تتدخل، ولكن هذا ممنوع بالمعتقد السائد: "الحكومة هي المشكلة"، كما قال ريفان بابتسامته المشعة. ما يعني أنه يجب تسليم عملية صنع القرار على نحو كامل إلى عالم الأعمال، المكرس للربح الخاص والخالٍ من تأثير أولئك الذين قد يهتمون بالصالح العام. لقد أعطت السنوات التي تلت ذلك جرعةً من الوحشية النيوليبرالية للنظام الرأسمالي غير المقيد والشكل الملتوي للأسواق التي تبنيها.

على الرغم من أن بعض الدول الأوروبية تبلي بشكل أفضل من غيرها في التعامل مع انتشار COVID-19، إلا أنه يبدو أن أكثر الدول نجاحاً في هذه المهمة هي الدول التي تقع خارج النطاق الغربي النيوليبرالي. إنها كل من سنغافورا، كوريا الجنوبية، روسيا والصين نفسها. هل تخبرنا هذه الحقيقة أي شيء بخصوص الأنظمة الرأسمالية الغربية؟

لم تمتد العناية الألمانية للناس خارج حدودها. لقد أثبت الاتحاد الأوروبي أنه أي شيء إلا "اتحاد".



الوحدة الوجودية وحدود الموت

حوار مع جوليا كريستيفا

جوليا كريستيفا، فيلسوفة بلغارية فرنسية، روائية وناقدة أدبية ومحللة نفسية وناشطة نسوية. أستاذة فخريّة في جامعة باريس ديديرو. من مؤلفاتها: قوى الرعب، وبروست والإحساس بالزمن، وثلاثية أنثى عبقرية.

ترجمة: سارة نبال بوسجيرة وسجاد ثائر

كتشبيهه إلى الشيوع كواقع، إلى ما كشفه الوباء عن الفرد، عن رجل اليوم المعولم.

هل تعتبر تجاهل فكرة الموت ظاهرة حديثة؟

منذ عصر النهضة ونحن نعد الموت مسألة دينية. وتقع مسألة التعامل معها على عاتق القس. نحن نجدها عند الفلاسفة، عند هيجل وهایدجر، ولكن فكرة الموت كانت غائبة عن الأوساط الإعلامية، العامة والشائعة. فنحن نفضل أن ننسى هذه الخاطرة. ربما نقوم بالاعتناء بكبار السن، ولكننا لا نعترف بالحقيقة وهي أن الموت يرافقنا، أنه مبرمج في خلايانا من أجل تجددنا بشكل مستمر، حتى في هذه اللحظة التي أكلّمك فيها. يجبرنا هذا الفايروس على مواجهة حقيقة أن الموت يلعب دوراً محورياً في دورة الحياة. وقد عكس الفن والأدب هذه المواضيع، وأنا على سبيل المثال أفكر ببروست* وباطاي**، إذ تشكّل عملية الكتابة بذاتها مجابهة للموت، ولكن أغلب التوجهات الفكرية الحسية الرائجة والمنتشرة للتعامل من الكائن البشري تتجاهل هذا البعد في الغالب.

هل تعتقد أن هذا الوباء سيغيّر وجهات نظرنا حول بعض الأمور؟

قد يؤثر الوباء على علاقاتنا العائلية، ما بين الآباء والأبناء. قد يدفعنا لإعادة التفكير بنزعتنا الاستهلاكية، بهوسنا بالسفر، وبذلك الحمى السياسية الناتجة من شعارات مثل "أعمل أكثر لكي تكسب أكثر"، وبالنزعة التنافسية التي تُعرض كما لو أنها شيء مثير. أنا لا أدّعي أنه سيكون هناك عبادة للوحدة والسوداوية، ولكنها إعادة تقييم للحياة بالكامل، بدءاً من انفتاح الجميع على مواضيع تخص المتعة والجنسانية.

(*) مارسيل بروست: روائي فرنسي شهير أشتهر بسبب روايته الطويلة التي تقع في سبعة أجزاء "البحث عن الزمن المفقود".
(**) جورج باطاي: كان فيلسوفاً ومفكراً فرنسياً سريالياً وتناولت أعماله مواضيع من قبيل الجنس والموت وغيرها.

"موازاة مع انتشار صور التضامن من الشرفات، بدأ الانعزال الاجتماعي بخلق الغيرة والعدوانية، إذ أن هنالك حقد موجه نحو أولئك الذين استطاعوا الالتحاق ببيوتهم الصيفية، أو نحو أولئك الذين يشتبه بأنهم يركضون كثيراً".

هل يعرض فيروس كورونا علاقاتنا الاجتماعية للخطر؟

- من الطريف أن نلاحظ كيف كان تستعمل كلمة "شائع" بكثرة قبل الجائحة. كانت ردود الفعل "الشائعة" جزءاً من واقعنا الاقتصادي والسياسي المتصل، إذ أن كل شيء ينتقل عن طريق العدوى، وبعد تلك البداية اللامعة المرتبطة بالمتعة، يتوج بانفجار مميت..

يعتبر "الشيوع" جزءاً من بيئتنا، فعلى سبيل المثال تمجّد مواقع التواصل الاجتماعي نفسها فقط لتسيء المعاملة وتدمر. فهذه المظاهر التي ذكرتها شائعة بالفعل، ولكننا رأيناها من قبل: خلال مظاهرات السترات الصفراء، والتي شجعت الأشخاص للارتقاء ولكنها دمرت أيضاً، وفي تلك الكتلة السوداء التي نهبت شوارع باريس.

وصل تسارع حضارتنا إلى مرحلة الشيوع، وهذا التشبيه يربكنا اليوم ويجعلنا ندخل إلى الواقع، لأننا ربما لا نملك المناعة الكافية ضد المخاطر الداخلية والخارجية، والخطر إذن بداخلنا أيضاً. هذا يسمح لنا بأن نسأل أنفسنا عن هذا العالم الذي نعيش به، في إخفاقاته وقصور تفكيره. بدءاً من أوروبا.

كيف تقيّمين دور أوروبا خلال هذه المرحلة؟

- أنا أوروبية، وفي الكتاب الذي نشرته عن دوستوفسكي كنت أبحث عن البعد الأوروبي العصري. أرى أوروبا في كل مكان وأريد تعزيزها رغم أنها تمر بالكثير من الصعوبات وتجد نفسها في لحظات من الفوضى.

لكن هذا الفيروس بيّن أن أوروبا ليست مجرد سوق دون رؤية سياسية، أو دون ميكانيكيات دفاعية، غير قادرة على إعادة التفكير في ثقافتنا المشتركة بل بيّن أيضاً أن أوروبا تملك عجزاً مخيفاً في منظومتها الصحية.

فقد تمّ الاستخفاف بضرورة امتلاك المعدات الطبية في كل من فرنسا وإيطاليا، وهذا يعتبر بالنسبة لي رفضاً للاعتراف بهشاشة الجنس البشري، ويمكن أن يأخذنا ذلك



حوار
مع الأستاذ
محمد شوقي
الزين

محمد شوقي الزين:

”القطيعة التي حصلت بين الطبيعة
والثقافة هي مصيبة العصر“

محمد شوقي الزين، كاتب وباحث وأكاديمي وفيلسوف جزائري، من مواليد وهران 1972. حصل على الدكتوراه في الدراسات العربية الإسلامية من جامعة بروفونس، ودكتوراه في الفلسفة من جامعة أكس-مرسيليا، يشغل أستاذ محاضر في الفلسفة بجامعة تلمسان.

بادئ ذي بدئ، شكراً لكم أستاذ شوقي الزين على إتاحتكم لنا فرصة الحوار والنقاش رغم التزاماتكم البحثية...

و"الآخر") يطرحان بالفعل مشكلة ثقافية، فكان أن بادرتُ في خوض غمار ما سمّيته بنقد العقل الثقافي ومحاولة فهم صيغة هذا العقل الثقافي والصيغة التي يتخذها تاريخياً وبنائياً، وأعمل على تشييد مشروع من هذا القبيل، بدأ بمقدمة ضخمة وهي "الثقاف في الأزمنة العجاف" (783 صفحة)، ليتواصل مع الجزء الأول من "نقد العقل الثقافي" الذي صدر سنة 2018. قد لا يتفق البعض معي في اختزال الفلسفة إلى مجرد ثقافة. لكن شواهد كثيرة من القدماء إلى هوسيرل ودولوز تقول بأن الفلسفة في جوهرها عبارة عن ثقافة بأوسع معاني هذه الكلمة، وعمل أرنست كاسيرر على إعطاء صورة مكتملة عن هذا الرابط المجهول أو المتناكر بين الفلسفة والثقافة في مشروعه "فلسفة الأشكال الرمزية". لنقرأ مثلاً ما يقوله هوسيرل في "أزمة العلوم الأوروبية": «الفلسفة والعلم عنوانان لصنف خاص من التشكيلات الثقافية» (ص 527 من الترجمة العربية لإسماعيل المصدق). تطرح الأزمة دائماً مشكلة ثقافية فيما نفكر فيها كمسألة فلسفية، وعلى وجه التحديد مشكلة الفهم الذاتي للإنسان كما جاء دائماً في "الأزمة" لهوسيرل (ص 515)، أي مشكلة تأويلية أو هيرمينوطيقية. ونرى أن جائحة كورونا كما سيأتي

المشكلة الثقافية هي مسألة مهمة بالمقارنة مع بلدٍ لم يتوقف عن البحث عن مستقبلٍ لشرطه الوجودي والحضاري

الحديث عنها تطرح هذه المشكلة الفلسفية في الفهم الذاتي للإنسان ومن ثمَّ المشكلة الثقافية في علاقة البشر بالعالم وبالطبيعة وبذواتهم. لا أكتفي في "نقد العقل الثقافي" بمجرد نسخ للأفكار، بل وضعتُ نظاماً هندسياً قائماً بذاته، يتركب من الحدود التي تُشكّل في نظري جوهر الثقافة وهي الذات - العالم - الفعل - التفاعل. ولكل حدٍّ من هذه الحدود له اسمٌ يعتي به: أحشر الذات في "الثقافة" بوصفها عملية تكوينية، والعالم في "الثقاف" بصفته قالباً خفياً ومدبراً، والفعل في "الثقف" باعتباره إدراكاً ذكياً ونبهاً للوضعيات الوجودية، وأخيراً التفاعل في "الثقاف" بوصفه تداوياً يُبرز نظام العلاقة بين الثقافات. ثم إن العناية بالثقافة هونزوع جزائري منذ الاستقلال، مع أبو القاسم سعد الله من جهة، ومع مالك بن نبي من جهة أخرى، لأن الجزائر في سيرة تشكيلها السياسي والاجتماعي طرحت المشكلة الثقافية بعد قرنٍ ونصف من استعمارٍ دمّر جوانب كثيرة من الهوية الثقافية الجزائرية. ما

يلاحظ المطلع على منتجاتكم الفكرية أن هنالك خيطاً ناظماً في الانشغالات والاشتغالات البحثية للدكتور د. شوقي الزين"، تتوزع بين الهرمنيوطيقا والترجمة وإعادة ترجمة تراث الشيخ الأكبر ابن عربي ترجمة ثقافية تساهم في تقديم مشاريع أجوبة لأسئلة الراهن وتعميداته، ما هي قبليات ودوافع هذه الخيارات البحثية لدى د. شوقي الزين، وما هي وعودها النظرية؟

شكري الجزيل وامتناني على شرف الدعوة لإجراء هذا الحوار لصالح منصة "النقطة الزرقاء". بالفعل، كما لاحظتم هناك مباحث متنوعة أعمل على الربط بينها لتقديم وجهة فكرية مثلى. هذا حصيلة خيار شخصي وهو الارتحال بين الأقاليم الفكرية للعثور على فكرة من شأنها أن تُدعم الأطروحات التي أشتغل عليها وتطعمها بالبراهين الذي أعمل على بلورتها. أحترم كل من نذر نفسه على التخصص في فيلسوف أو مجال فلسفي تفادياً للتبعثر في المواد الفكرية أو تجنباً لما يراه تحذلقاً موسوعياً. لكن، ألهمني طبعي الرواقي أن

أبحث عن منظومة شاملة (كوسموبوليتية) بالتوليف بين الحدود التي تُشكّل هذه المنظومة بمعونة منهج أو أكثر. كان هذا دأب العديد من الفلاسفة وأخص بالذكربو ريكور الذي راح يحرك بالمنهج التأويلي في مختلف الحقول السيميائية والنفسية والبنوية والسردية ليحني بعد ذلك ثمار التلاقح بين الأفكار التي اشتغل عليها في مختلف المجالات من فلسفة وتاريخ وسياسة. هناك منطلقان أقف منهما موقف البرزخ وهما الثقافة العربية الإسلامية (ابن عربي) والثقافة الغربية المعاصرة (ميشال دوسارتو)، وعملت على الربط بين المنطلقين من خلفية التشاكل في الهموم النظرية وحددته في "التصوّف" (ابن عربي من جهة، اشتغال دوسارتو على التصوف المسيحي من جهة أخرى). ثم بدا لي أن المشكلة الفلسفية هي في جوهرها مشكلة ثقافية ومشكلة العلاقة بين الثقافات من باب الحوار أو الصراع (لا يهم ذلك). فبدا لي أن المنطلقين (الثقافة العربية الإسلامية، الثقافة الغربية المعاصرة، أو إن شئتم: "الأنا"

عملية تكوينية، والعالم في "الثقاف" بصفته قالباً خفياً ومدبراً، والفعل في "الثقف" باعتباره إدراكاً ذكياً ونبيهاً للوضعيات الوجودية، وأخيراً التفاعل في "الثقافة" بوصفه تداوياً يبرز نظام العلاقة بين الثقافات. ثم إن العناية بالثقافة هونزوع جزائري منذ الاستقلال، مع أبو القاسم سعد الله من جهة، ومع مالك بن نبي من جهة أخرى، لأن الجزائر في سيرة تشكلها السياسي والاجتماعي طرحت المشكلة الثقافية بعد قرن ونصف من استعمار دمر جوانب كثيرة من الهوية الثقافية الجزائرية. ما أقدمه هو بلورة فلسفية ومفهومية محضة. يمكن لأيّ مشغل على الثقافة أن يستفيد منها، ويمكنه كذلك أن يلجأ إلى التحديدات المعرفية الأخرى للثقافة، من وجهة نظر التاريخ أو الأنثروبولوجيا أو علم الاجتماع. رأيت بأن المشكلة الثقافية هي مسألة مهمة بالمقارنة مع بلدٍ لم يتوقف عن البحث عن مستقبلٍ لشروطه الوجودي والحضاري.

بوصفكم أستاذا أكاديميا يملكه همّ مزدوج بين البحث والتدريس، ما هي صعوبات البحث العلمي في الجامعة الجزائرية، وما هي البدائل الموضوعية للقلق المتنامي من غلق الجامعات والمدارس بسبب جائحة كورونا في حالة -لا قدر الله- استمرّ الوضع على ما هو عليه؟

في البداية، قبل عقود، كانت صعوبات البحث العلمي في ندرة المراجع للقيام بالبحوث وإنجاز الأطروحات. كانت الكتب والمجلات نادرة، وكانت التريصات في الخارج نادرة أيضاً. لكن، منذ عقد وبالتطور الملحوظ في التكنولوجيا الرقمية، بدأ استعمال الكتب والمجلات الالكترونية التي أصبحت متوفرة لكل الباحثين، زيادةً على إمكانية القيام بتريصات في الجامعات ومراكز البحث خارج الوطن. بحكم أن المادة المعرفية متوفرة إلكترونياً، فإن هذا سهّل مهمة التقدم في البحوث والأطروحات، وحلّ نسبياً مشكلة الحجر المنزلي لأن التدريس يُقام على مستوى منصات الكترونية بنشر الدروس التي يقوم الطلبة بحملها. لذا، بفضل التطور التكنولوجي لم تعد هنالك مشكلة في مواصلة التدريس والتعلم عن بُعد إذا توفّرت السندات (الكامبيوتر والانترنت). ما تغيّر هو فقط الألفة مع الوضع الجديد، حيث لم نألف هذه الصيغة في

التدريس والتعلم، مع أنها شائعة في الدول المتطورة تكنولوجياً مثل اليابان أو أوروبا. بل إن بعض المحاضرات تتمّ عبر الفيديوها إذا كان المحاضر في سفر أو في البيت لسبب صحيّ. مزيج هذه الصيغة الجديدة هي مواصلة العمل عن بُعد لتفادي التقطع في التدريس أو في التعلم.

بالحديث عن الجزائر التي عرفت حراكاً سياسياً ساهم في تحييد بعض رموز الحكم السابق، يعلّق البعض أن تغيير الأشخاص لم يفرز تغييراً في الذهنيات ونمط الحكم بما يعزّز من الديمقراطية التشاركية الحقّة وحرية التعبير، ما موقفكم من نتائج الحراك وتعامل السلطة معه، وما واجبات المثقف إزاء سؤال النضال السياسي خاصة وأنكم تؤمنون بتناهي المثقف بما يحدّ من دوره في المشاركة السياسية المباشرة؟

التغيير هو مسألة "بنوية" تتطلب الوقت والصدق. لا يكفي تغيير الأشخاص لامتناس الغضب، بل تغيير المنظومة الذهنية والعملية في رمّتها. لأن بقاء أسباب الأزمة فإن أزمات أخرى ستندلع لا محالة. لا يمكن بناء الجديد بعناصر قديمة. فهم الجزائريون المسألة جيداً. لقد كان الحراك موعداً مع التاريخ بعد الإخفاقات المتتالية في ممارسة نظام الحكم وفي إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات الموضوعية ومنها الممارسة السياسية نفسها والمعضلات الاجتماعية مثل البطالة والهجرة غير الشرعية. عمل الحراك على تصحيح المسار السياسي في الجزائر الذي عرف في السنوات الأخيرة تصلباً واستشرى الفساد بسبب الخلط بين السياسة والمال. أوّل تغيير هو الفصل بين السياسة والمال، باهتمام أهل السياسة بنظام الحكم، وباهتمام رجال الأعمال بالمنظومة الاقتصادية. ثاني تغيير هو إعطاء أهمية كبرى للثقافة والعلم، لأن ولا حضارة قامت على الجهل والشعبوية، ولا دولة تعزّزت اقتصادياً واجتماعياً بغياب نخبة محصّنة نظرياً، متكوّنة فكرياً، ذات كفاءات عالية، وفي خدمة المصلحة العامة. ثالث تغيير هو ديمقراطية العمل السياسي بإعادة إرجاع الفضاء العمومي للمجتمع ليمارسه حقه في التعبير والتظاهر، لأن العمل السياسي الأفقي حركة، والعمل

بالنسبة لجائحة كورونا شاهدنا معالجة سياسية وإعلامية وصحية للوضع أغفلت القلق الوجودي والوضع النفسي للأفراد، ما الذي يمكن للفلسفة والفن والجماليات أن تساهم به في رتق هشاشة الوضع المعنوي للأفراد؟

بالفعل، كانت المعالجة السياسية والإعلامية والصحية واقعية بحشر الأجساد في الحجر المنزلي والصحي بسبب الجائحة، وهذا دورها، أي سياسة الأجساد؛ أما الفلسفة، فهي تحاول تقديم معالجة وجودية للقلق المتنامي أو سياسة الروح. تتطلب الأزمة التي نعيشها علاجاً مركباً يخص في الوقت نفسه الجسد والنفس والروح. إذا كانت سياسة الجسد هي عمل سياسي وصحي بتوفير مقومات العيش الكريم ومحاربة الوباء وتنظيف المدن، وإذا كانت سياسة النفس هي عمل سيكولوجي بإصلاح الخلل الممكن وقوعه على مستوى الشعور والتذهن، فإن سياسة الروح هي عمل فلسفي يقوم أساساً على العلاج بالكلام كما ذهب فيكتور فرنكل، الذي لاحظ عن حق بأن الجسد يمرض وبأن النفس تمرض، لكن الروح لا يمرض، لأنه العنصر الناطق والمفكر والخالد من الإنسان. نرى بأن الفلسفة تنبؤاً مقعداً سامياً في سياسة الوجود الإنساني في العالم.

**تتطلب الأزمة التي نعيشها علاجاً مركباً يخص
في الوقت نفسه الجسد والنفس والروح**

فهي تشغل على القول الحي (لوغوس) بتقويمه وجعله وسيلة في معالجة المشكلات الوجودية التي نتخبط فيها اليوم. تُقدِّم الفلسفة هذا المنهج العلاجي للفرعين الآخرين وهما سياسة النفس وسياسة الجسد بمداواة العلل التي تستبدُّ بهما. نرى بوضوح أن الفلسفة تُلهم الفروع الأخرى بوسائل علاجية كما فعلت في الماضي أيضاً، عندما كانت طباً روحانياً يداوي القلق والتعاسة والخوف من المجهول ومما تسفر عنه الأوبئة أو الحروب أو المجاعات. لم تتغيَّر المخاوف عبر العصور، ومن ثمَّ فإن الدور العلاجي للفلسفة لم يتغيَّر هو الآخر، وتبقى أحسن طريقة في محاولة فهم الأزمات المعاصرة قصد تفكيك مركباتها العويصة وتقديم حلول مناسبة للظرف الراهن.

تغيير هو إعطاء أهمية كبرى للثقافة والعلم، لأن ولا حضارة قامت على الجهل والشعبوية، ولا دولة تعزَّزت اقتصادياً واجتماعياً بغياب نخبة محصَّنة نظرياً، متكوَّنة فكرياً، ذات كفاءات عالية، وفي خدمة المصلحة العامة. ثالث تغيير هو ديمقراطية العمل السياسي بإعادة إرجاع الفضاء العمومي للمجتمع ليمارسه حقه في التعبير والتظاهر، لأن العمل السياسي الأفقي حركة، والعمل السياسي العمودي سكون، لا يمكنه ابتكار مقومات الممارسة الديمقراطية. وحده العمل السياسي الأفقي الذي يبتكر السياسة ويعيد ابتكارها بما هي علم الإمكان. لأن على أساس حركة المجتمع وتحول الذهنيات وتطورها يتم التشريع وصناعة القوانين. ما موقع المثقف وما موقفه من ذلك؟ لا يعني تناهي المثقف هجره للفضاء السياسي أو عدم انخراطه المباشر للسياسة، لكن أقصد به الوعي بحدوده الذاتية وإمكانية أن يغتني بتفاعله مع الفضاء الذي ينخرط فيه، شريطة أن يكون العمل السياسي الأفقي حقيقة معلومة توفر له آليات هذا الاغتناء وإغناء الفضاء السياسي نفسه.

**لا يكفي تغيير الأشخاص
لامتصاص الغضب، بل تغيير
المنظومة الذهنية والعملية
في رمتها**

ما موقع المثقف وما موقفه من ذلك؟ لا يعني تناهي المثقف هجره للفضاء السياسي أو عدم انخراطه المباشر للسياسة، لكن أقصد به الوعي بحدوده الذاتية وإمكانية أن يغتني بتفاعله مع الفضاء الذي ينخرط فيه، شريطة أن يكون العمل السياسي الأفقي حقيقة معلومة توفر له آليات هذا الاغتناء وإغناء الفضاء السياسي نفسه.

**العمل السياسي الأفقي حركة،
والعمل السياسي العمودي سكون**

، غاية لغيره، أي لأجل الاستثمار وحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية. الماهوية التي استبدت بالمال هي نفسها الماهوية التي تسلطت في عالم الاستهلاك. لأن بمقدار ما يستهلك البشر بسرعة من وراء الرغبات المتزايدة والإشهار المتنامي، فإن المال يصبح القيمة المادية مزوغة القيمة الإنسانية، ويتحوّل هكذا إلى رأسمال بلا صفقات، وأحياناً رأسمال من أجل صفقات أكثر ربحاً. يحث العالم المعاصر على اقتناء الحاجيات والدخول في دوامة الاستهلاك المعمم والباذخ، ونتيجة ذلك تكاثر الديون وإفقار شرائح واسعة من المجتمع ينجّر عنه البطالة والقلق والانتحار والمخدرات والأمراض النفسية والاجتماعية. عرّت الجائحة هذه الحياة الإنسانية الملتبسة بين الترف المادي والعوز الاقتصادي، أي بين طبقات اجتماعية أكثر ثراءً وطبقات أخرى أكثر فقرًا. طبعاً لا يتعلّق الأمر بالرجوع إلى الحلول السحرية (والمستحيلة) التي قدّمها بعض الأيديولوجيات في الماضي مثل الشيوعية، لكن ينبغي الحل في معالجة الأزمة في بنيتها ككل من جهة، وفي أجزائها المحلية من جهة أخرى، أي اللجوء إلى الحلول العلائقية (لا الماهوية) بين المحلي والكوني. ما أشار إليه أونفري وإدغار موران يصبّ في أزمة الغرب مع نفسه، مع تركزه وعنجهيته. اقترحت شيئاً رواقياً وهيغلياً في الوقت نفسه، ينطوي على نفي مضاعف يُسمّى "اللا دونية" (لا...دون...)، بمعنى أن علائقية المحلي والكوني أو علائقية الجزء والكل تجعل مستحيلًا استغنائنا المطلق عن بعضنا بعضاً. لقد فقهت الرواقية المسألة من باب الكوسموبوليتية، وفهم هيغل المسألة من باب جدل العبد والسيد والكفاح من أجل الاعتراف. تقول "اللا دونية" أننا لا نقوم أصلاً دون غيرنا ولا يقوم غيرنا بدوننا، بما في ذلك الأعداء. يحتاج العدو إلى عدوه ليكون هناك شيئاً يُسمّى "عدو" أو "عداء". هكذا يفتقر الأعداء إلى بعضهم بعضاً فيما هم يسعون أصلاً إلى نفي بعضهم بعضاً. بحكم أن الغرب لم يدرك هذه "اللا دونية" الدفينة في علاقته بالآخر، فهو يتخبّط اليوم في أزمة إيجاد الحلول للأزمة. وحده التصوّر العلائقي بنفي الحدود الطاغية أو جعلها ترتبط ببعضها بعضاً من شأنه أن يُقدّم عزاءً لهذه الأزمة الصحية والوجودية.

**عندما يصبح كل شيء رهن
القيمة المادية أو المال، فإن
كل القيم الأخرى تنهار أو يتراجع
مفعولها على الواقع**

ظهرت على خلفيّة جائحة كورونا مراجعات فكرية وفلسفية تصبّ في خانة النقد الذاتي لسياسات الدول الأوروبية ومنهجها في التعامل مع الوضع الصحي، فبين نبوءة "ميشال أونفري" بأفول الحضارة الأوروبية التي أصبحت "علماً ثالثاً جديداً" لم يُجد التعامل مع أزمة الكورونا وترك الشيوخ يموتون في ممرّات المستشفيات بسبب اتباع أوروبا للإيديولوجية الليبرالية القائمة على قواعد براغماتية محضة، وتوقعات "سلافوي جيچيك" بانبثاق "شيوعية جديدة" من رحم الأزمة الصحية العالمية بما يعكس حاجة العالم لنفّس تعاون وتضامن حقيقي، وبين ملاحظات إدغار موران في إخفاق الإنسانية المعاصرة في خلق مشاعر أخوة بين مختلف العوائل الروحية والثقافية بسبب منزع الرأسمالية المتوحشة في الاقتصاد، كيف يرى د. شوقي الزين مستقبل العالم وتحديات الإنسانية القادمة على أعقاب هذه الجائحة؟

كانت هذه الإخفاقات متوقّعة منذ أن "تشيّاً" الإنسان ومعه القيمة الروحية. عندما يصبح كل شيء رهن القيمة المادية أو المال، فإن كل القيم الأخرى تنهار أو يتراجع مفعولها على الواقع. معلومٌ أن ما يُدبّر العالم اليوم هو النموذج المالي-الاقتصادي الذي حوّل كل شيء إلى بضائع، بما في ذلك القيم الإنسانية. هل تعلمون أن البعض يُقدّم دروساً في الصلاة المتقنة مقابل المئات من الدولارات، وهو سلوك شبيه بالقساوسة البروتستانت

في الولايات المتحدة الذين يُقدّمون دروساً ومواعظ باهظة الثمن، يحضرها في الغالب الأثرياء ورجال المال والأعمال؟ كذلك الفن الذي تحوّل هو الآخر إلى سلعة مربحة في المزاد العلني ببيع اللوحات الزيتية لرسمامين من النهضة أو الفن الحديث

والمعاصر بملايين الدولارات. تحوّل المال إلى "ماهية" انتفت معها العلاقات، حيث أصبح غاية في ذاته بعدما كان، في الأصل،

الأخلاق الدينية. يميل البشر بطبعهم إلى قياس الأفعال بنموذج يُحتذى، سواء أكان نصاً دينياً أم مبدأً متعالياً أم مثلاً سامياً، ويرون أن ما يحدث لهم هو الابتعاد عن هذا النموذج الأصلي بتقليد نماذج أخرى أو بتدخل أجنبي تحت مسمى "الغزو الثقافي". المشكلة الجوهرية هي مشكلة الذات مع ذاتها أولاً: فلأن الصين لم تحترم البروتوكول الصحي باستهلاك الحيوانات المتوحشة الحاملة للفيروسات، حصل ما حصل من انتقال الفيروس إلى الإنسان وبداية العدوى بين البشر؛ ولأن الرؤية الدونية والعنصرية لا تزال تستبد بشريحة من المجتمع الغربي (وليس كل المجتمع الغربي) حصل ما حصل من تعدي على السود بملاحقاتهم والقبض عليهم إلى غاية قتلهم بالعفس عليهم.

يعتبر البعض جائحة كورونا بمثابة واقعة ميتافيزيقية مستجدة في حياة الأفراد وسياسات الدول، ما هي برأيكم الدروس التي تمدنا بها هذه الجائحة من أجل إعادة ترتيب علاقتنا بالعالم والإنسان على المستوى السياسي والبيوتيقي؟

بالفعل، أحدث الجائحة رجّة في الوعي المعاصر، لأنها المرة الأولى التي تتوقف فيها الحياة الاقتصادية والمواصلات العالمية مثل شركات الطيران. لم تحدث العديد من الأمراض المعدية هذا التوقف في الآلة الصناعية والسياحية. لماذا سببت جائحة كورونا ذلك؟ لأنها مرض معدٍ جداً ويمس خصوصاً الرئتين بما يُسمى بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة (Sars-Cov). ومن ثم فإن أثرها على الأفراد قوي جداً والعدوى شديدة التنقل. يُفسّر هذا الأمر لماذا توقفت الحياة الاقتصادية والاجتماعية خلال شهرين أو أكثر. كان ذلك من أجل وضع حدٍ للانتشار السريع للفيروس وللحد من عدد الوفيات التي أسببها غير كوفيد-19 ويمكن أن تكون أمراضاً مزمنة. لكن أسهم الفيروس في التفافم من الوضع الصحي. إذا كانت هنالك دروس ينبغي استخلاصها من هذه الأزمة الصحية، فيمكن تلخيصها فيما يلي: 1. الصحة هي الخير المشترك للبشرية جمعاء ولا يمكن إخضاعها إلى قوانين السوق، مثل قانون العرض والطلب. كانت الموجة التي اجتاحت أوروبا (خصوصاً إيطاليا وإسبانيا) بسبب التضحية بمجال الصحة لأجل الخواص وتقليص ميزانيتها في القطاع العام؛

هناك ثلاثة وقائع مستجدة أصبحت تنذر بتشكّل ملامح عالم احترابي وعنصريّ متشظّ على نفسه: الأولى تتمثل في صعود اليمين المتطرّف في أوروبا، الثانية تعكسها المعاملة العنصريّة لبعض أفراد الشرطة الأمريكية ضد السود نظير واقعة مقتل "جورج فلويد"، وثالثاً ردود الأفعال المشوبة بالكراهية ضد الصين بالتزامن مع انتشار وباء كورونا في مقاطعة ووهان التي شكّلت مناسبة للكراهية والعنصرية المضمرة أن تتجلى، حيث أوّل الأمر في البلاد العربية لاهوتياً بوصفه عقاباً إلهياً ضد الحكومة الصينية لاضطهادها للإغور المسلمين، وفي أوروبا والوم. أ- بصفة خاصّة- تم وصف الكورونا بالفيروس الصيني. برأيكم ما علّة موجة العداء والكراهية والعنصرية التي تعود للسّطح كلّما انفجرت أزمات إنسانية معيّنة في منطقة ما من العالم؟

هذا شيء بديهي ينطلق من فكرة "كبش الفداء" التي ارتقى بها رونييه جيرار إلى ثابتة أنثروبولوجية في تاريخ البشر. الفكرة هي أن بحلول الأزمات، أيّاً كانت طبيعة هذه الأزمات (سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم صحيّة)، هناك دائماً الميل نحو البحث عن أثم أو مذنب يُحمّل المصائب. في كل أزمة، هناك جحوظ في التمثيل الممزوج بالخوف يدفع الناس إلى البحث عن مذنبين للتكفير عن خطاياهم: إذا كان هنالك زلزال، سنقول بأن السبب هو التبرّج والخمر؛ إذا كان هنالك وباء، سنقول كذلك بانتشار الفاحشة أو الظلم؛ وإذا كانت هنالك أزمة اقتصادية تُسبب البطالة، سنقول بأن السبب هم الأجانب (من أفارقة ومغاربيين) هاجروا إلى البلدان الغربية واستولوا على مهن المواطنين الأصليين؛ وإذا كانت هنالك أزمة سياسية داخلية، سنقول بأن السبب هو اليد الخارجية التي تسعى لتدمير البلد، مع أن ما يُعاني منه أهل البلد من تهمة فقر وبطالة لا علاقة له، لا من قريب ولا من بعيد، بأيادٍ أجنبية أو تخيلات من هذا القبيل. هناك إذاً هذا الميكانيزم المسمى "كبش الفداء" الذي يشغل في التمثيل البشري ويصوّر أن سبب الأزمات المستشرية هو مخاطر خارجية أو الابتعاد عن

قصوى في استهلاك الحيوان بالكم الذي نراه في الحاضرة المعاصرة وبالمهجية عنها؟ لا يعني هذا بالضرورة العودة إلى البُعد الرومانسي للطبيعة وأن نصير نباتيين، لكن يتطلب الأمر إعادة النظر في فلسفة الحيوان ككل: كيف نرى الحيوان؟ لماذا نتناول الحيوان؟ ما قصّة الذبائح؟ مع أن الحيوان هو وجهنا الخاص الذي نتنكر له، أي حقيقتنا الإنسانية البشعة التي نعجز أو نرفض النظر إليها مباشرة.

أخيراً، بوصفكم إحدى القامات الفلسفية في الجزائر والعالم العربي المجدة والغزيرة في إنتاجها الفلسفي، ما هي مشاريع د. شوقي الزين الفلسفية التي يشتغل عليها حالياً، وما إصداراتكم الفكرية التي -ربما- هي بصدد النشر قريباً؟

من بين الأعمال التي ستصدر قريباً الترجمة العربية لكتاب لورانس فانين عنوانه "لماذا نتفلسف؟ سُبُل الحرية". وهو تتمّة للترجمة العربية لكتاب جون غرايش "العيش بالتفلسف" الصادر سنة 2019. كتاب غرايش موجّه للنخبة من بين الأكاديميين والباحثين والأساتذة وطلبة الدكتوراه، وكتاب فانين مخصّص لتلاميذ الثانوي وطلبة الجذع المشترك والليسانس والماستر، علاوة على القارئ العام الذي يريد مقدمة سهلة وواضحة عن الفلسفة دون تكلف. يجد في كتاب فانين ضالّته. ترجمت إذاً الكتابين لأراعي حقوق الجميع في التفلسف. هناك أيضاً الجزء الثاني من "نقد العقل الثقافي" الذي أشراف على الانتهاء من تدوينه ويشتمل على 12 فصلاً حول رؤية العالم ونظام الثقافة.

شكراً جزيلاً مرّة أخرى أستاذنا على كرم قبولكم إجراء هذا الحوار معنا.

2. ليس الاقتصاد هو كل شيء، وليس الاستهلاك هو قداسة العصر. بل هناك قيم أخرى لامادية خصوصاً يمكنها أن تُسهم في معالجة أزمات العصور والحدّ من الجشع الذي أصاب العالم التجاري والمالي، وجنون الاستهلاك الذي أصاب شرائح واسعة من المجتمعات؛ 3. أهمية الوسائط الاجتماعية والتكنولوجيا الحديثة في العمل والتدريس والتعلّم، حيث وجدت بعض الدول نفسها متأخّرة في الاهتمام بالتكنولوجيا الرقمية ولم توليها اهتماماً خاصاً. بهذه الأزمة الصحية، تتبيّن أهمية هذه التكنولوجيا في مواصلة العمل دون الحاجة إلى التنقل لتفادي العدوى.

هل انتقال الفيروس من سوق للحيوانات في مدينة ووهان إلى جسد الإنسان يعدّ سخرية من التفوق والمركزية الميتافيزيقية للإنسان بما يعطل فكرة الفرد بوصفه كيانا أخلاقياً؟

لا شك في ذلك، وتميل الدراسات المعاصرة إلى نقد النموذج الديكارتي بإعادة التفكير في الشرط الحيواني الذي يتمتّع بأحاسيس وبجهاز خاص في التمثّل. الخطيئة المعرفية الكبرى التي حصلت في الغرب هي الفاصل السّخيف والزّائف الذي حصل بين الطبيعة والثقافة، بعدّ الأولى ضرورة تلهم الحيوان وتدفعه إلى الافتراض بغريزة كامنة في منظومته العضوية، وبعدّ الثانية موطن الإنسان بوصفه كائناً أرقّ بحكم النطق والتفكير وآليات أخرى أكثر تعقيداً. القطيعة التي حصلت بين الطبيعة والثقافة هي مصيبة العصور ووجب إعادة رَأْب الصّدع الذي حصل بينهما لتبيان أن الحيوان يتمتّع بقدرٍ من الإحساس والتمثّل، وتبيان أن الإنسان حيوان كذلك (أو الحياة والطبيعة تسريان في جسده) وله القابلية للافتراض والقتل والتنكر للقانون الأخلاقي الذي يحمله بين جنبهيه. ما حصل في التاريخ من صراعات ومجازر ومظالم تجسّدت في اقتتال طائفي-ديني أو تعديّيات استعمارية أو حروب عالمية ما هي سوى الترجمة الطبيعية لما هو عليه الإنسان، الذي يميل بخبث إلى إبراز البُعد الثقافي والحضاري للمواهب والعبقريات التي يُجسّدها، ناسياً أو متناسياً الجانب المظلم من هذه الإشراقات الحضارية، وهو القدرة على الانتهاك والعنف. تدفعنا هذه الجائحة إلى إعادة النظر في السؤال الطبيعي وعلاقتنا بالحيوان: هل هناك ضرورة

خطاب الأوسكار

الذي لم يكتمل

إعداد: عمر دريوش ونصرالدين بلبكري

في النسخة الخامسة والأربعين من حفل تقديم جوائز الأوسكار، عند بلوغ فئة أحسن ممثل بدور رئيسي، والتي كانت واضحة معالم الفوز المحقق لمارلون براندو عن دور فيتو كورليون في فيلم العراب (1973) -سنة ترشحت فيها عديد الأسماء القوية أبرزهم بيتر أوتول ومايكل كاي-، مباشرة بعد إعلان إسم "مارلون براندو" تحت تصنيفات الحضور وصوت موسيقى العراب الشهيرة في المسرح، تفاجأ الجميع بصعود فتاة أخرى بدلا عن براندو، فتاة ترتدي ثياب الهنود الحمر، رفضت استلام الجائزة رافعة يدها، اقتربت من الميكروفون، وخطبت قائلة:

”مرحبا، اسمي ساشين ليتفيدز، رئيسة منظمة الحفاظ على تراث الهنود الحمر، أنا هنا لأمثل مارلون براندو في هذه الأمسية، لقد طلب مني اخباركم بخطاب طويل لا يمكنني مشاركتكم إياه الآن بسبب الوقت، لكن سيكون من دواعي سروري مشاركته مع الصحافة بعد انتهاء الحفل، إنه -بكل أسف- لا يمكنه قبول هذه الجائزة السخية، سبب هذا الفعل هو المعاملة المشينة للهنود الأمريكيين من قبل صناع الأفلام، اعذروني...وكذلك الأحداث الحالية بووندد ني Wounded knee

آمل ألا أكون قد تطفلت على أمسياتكم هذه، و أن تلتقي قلوبنا وبصيرتنا في المستقبل مع الحب والمروءة، شكرا لكم بالنيابة عن مارلون براندو



تباينت ردود فعل الحاضرين في الحفل، إذ صفق البعض، واستهجن كلامها البعض الآخر. وتم نشر الخطاب الخاص ببراندو بجريدة النيويورك تايمز في اليوم الموالي، وكان كالآتي:

"طوال مائتي سنة، قلنا للشعب الهندي الذي يقاتل من أجل أرضه وحياته وعائلاته وحقه في أن يكون حرا: "ألقوا أسلحتكم أرضا أصدقاءنا، وبعد ذلك نبقي سويًا. إذا ألقيتم أسلحتكم أرضا أصدقاءنا، حينها فقط يمكننا التحدث عن السلام والتوصل إلى اتفاق يكون جيدا بالنسبة لكم.

عندما ألقوا أسلحتهم، قتلناهم. كذبنا عليهم. سلبناهم أراضيهم. ودفعناهم لتوقيع اتفاقيات محتالة أطلقنا عليها "معاهدات"، والتي لم نحترمها أبدا. لقد حولناهم إلى متسولين في قارة أعطت الحياة طوال ما أمكن للحياة أن تتذكر. وبأي تأويل للتاريخ، مهما كان محرّفا، فإننا لم نفعل الصواب. لم نكن قانونيين ولا كنا في ما فعلناه فحسب. بالنسبة لهم، ليس علينا إعادة هؤلاء الناس، ولا علينا أن نفي ببعض المعاهدات، لأنها مُنحت لنا بحكم قوتنا في مهاجمة حقوق الآخرين، والاستيلاء على ممتلكاتهم، وأرواحهم عندما يحاولون الدفاع عن أرضهم وحرّيتهم، وجعل فضائلهم جريمة وردائنا فضائل.

ولكن هناك أمر واحد بعيد عن متناول هذا الانحراف، وهو الحُكم الهائل للتاريخ [علينا]. والتاريخ سيحكم علينا بكل تأكيد، ولكن هل نهتم؟ أي نوع من الفصام الأخلاقي هو ذاك الذي يسمح لنا بالصراخ بأعلى صوتنا الوطني لجميع العالم ليسمع أننا نفي بالتزامنا، عندما تكون كل صفحة من التاريخ وكل الأيام والليالي

العطشة، الجائعة، والمذلة من المائة عام الماضية في حياة الهندي الأمريكي، تناقض ذلك الصوت؟

يبدو أن احترام المبدأ وحب الجار قد أصبحا معطلان في بلدنا هذا، وأن كل ما قمنا به، وكل ما نجحنا في تحقيقه بقوتنا هو ببساطة إبادة آمال الدول حديثة الولادة في هذا العالم، وكذلك الأصدقاء والأعداء على حد سواء، أننا لسنا إنسانيين، وأننا لا نلتزم باتفاقيتنا.

ربما في هذه اللحظة أنت تقول لنفسك ما علاقة كل هذا بجوائز الأوسكار؟ لماذا تقف هذه المرأة هنا، تفسد أمسينا، تغزو حياتنا بأشياء لا تعيننا، ولا نهتم بها؟ تضع وقتنا ومالنا وتقتحم منازلنا.

غير مناسبة ليتم استلامها أو منحها حتى يتم تغيير حالة الهندي الأمريكي بشكل كبير. إذا لم نكن حارسا لشقيقنا، على الأقل دعونا ألا نكون جلاده.

كنت سأكون هنا الليلة لأحدث إليكم مباشرة، لكنني شعرت أنه ربما يمكنني أن أكون أكثر إفادة إذا ما ذهبت إلى ووند ني - Wounded Knee* للمساعدة في إحباط -بأي طريقة أقدر عليها- إقامة سلام مخنٍ طالما تجري الأنهار وينمو العشب.

مجتمع الفن السابع لطالما كان مسؤولاً مثل أي شخص عن إهانة الهندي والسخرية من شخصيته، ووصفاً إياه بالمتوحش والمعادي والشرير

أمل ألا ينظر المستمعون إلى هذا الأمر على أنه تدخل وقح، ولكن على أنه جهد جدي لتوجيه الانتباه نحو قضية قد تحدد جيداً ما إذا كان يحق لهذا البلد أم لا، أن يقول من الآن فصاعداً أنه يؤمن بالحقوق غير القابلة للمصادرة لجميع الناس على البقاء أحراراً ومستقلين في الأراضي التي دعمت حياتهم منذ ما وراء الذاكرة الحية.

شكراً لكم على لطفكم ولباقتكم مع الأنسة ليتلفيدز. شكراً وتصبحون على خير."

الأوسكار هو أرقى جائزة في العالم السينمائي، يحلم بها كل ممثل، هاو كان أو مخضرم، لكنها لم تغر مارلون براندو أبداً، واعتبرها فرصة قوية في إيصال



أعتقد أن الإجابة على هذه الأسئلة المُسرة هي أن مجتمع الفن السابع لطالما كان مسؤولاً مثل أي شخص عن إهانة الهندي والسخرية من شخصيته، ووصفاً إياه بالمتوحش والمعادي والشرير. من الصعب كفاية على الأطفال أن يكبروا في هذا العالم. عندما يشاهد الأطفال الهنود التلفزيون، ويشاهدون الأفلام، وحينما يرون عرقهم يصوّر بالطريقة التي هي عليه في الأفلام، تتأذى عقولهم بأشكال لا يمكن أن نعرفها أبداً.

في الآونة الأخيرة كانت هناك بعض الخطوات المتعثرة لتصحيح هذا الوضع، ولكنها متعثرة جداً وقليلة للغاية، لهذا، كعضو في هذه المهنة، لا أشعر أنني أقدر كمواطن أمريكي قبول جائزة هنا الليلة. أعتقد أن الجوائز في هذا البلد بهذا الوقت

من الجدير بالذكر أن عدة ممثلين خلال الستينات والسبعينات استغلوا ظهورهم في حفلات الأوسكار السنوية من أجل تمرير رسائل سياسية أو الدفاع عن قضايا حقوقية يؤمنون بها. يعتبر العرب أحد أعظم الأفلام السينمائية في التاريخ وأكثرها تأثيراً، مصنفاً كثنائي كأعظم فلم في تاريخ السينما الأمريكية بعد فلم "المواطن كين" من قبل معهد الفلم الأمريكي.

معاناة الهنود الأمريكيين لأكثر من 80 مليون مشاهد للحفل. خلال مقابلة له مع ديك كافيت في برنامجه التلفزيوني، قال: "لم يكن للهنود الأمريكيين أي فرصة من قبل لإسماع أصواتهم أبداً بتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، شعرت أنها فرصة قيّمة ليكون للهنود فرصة لإسماع صوتهم لما يقارب 285 مليون مشاهد، أعتقد أن الرقم كان كذلك، شعرت أن ذلك كان من حقهم، نظراً لما فعلته هوليوود بهم،...، أظن أن الغالبية لا تستوعب حقيقة ما فعله صناع الفلم بالهنود الأمريكيين، بل في الواقع كل المجتمعات العرقية، الأقليات وغير البيض، ويعتقدون أن تلك التقديمات بالأفلام أمر افتراضي،...، لا يستوعبون حتى أن تلك الأفعال جارحة لشخصهم."

هوامش:

* ووندد نبي - Wounded Knee: نسبة إلى جدول ووندد نبي (تعني حرفياً الركبة الجريحة) في داكوتا الجنوبية بالوم. أ، حدث قرب الجدول في 1890 مجزرة شهيرة، قتل فيها بين 150 و300 شخص من هنود قبيلة لاكوتا نصفهم أطفال ونساء من قبل جنود من الجيش الأمريكي.

”من الصعب التخلص من الخوف“

حوار مترجم مع بونغ جون هو

ترجمة: أميرة بوسجيرة / عمر دريوش

في ذلك الوقت عما هي عليه الآن. كنت أعمل حينها على مرحلة ما بعد الإنتاج لفيلم ”محطم الثلج“ (Snowpiercer)، والذي تدور أحداثه أيضا حول الاختلاف والصراع الطبقيين، حيث يعيش الأغنياء والفقراء في عربات مختلفة من قطار، لذلك يمكنك القول أنني كنت بالفعل في قبضة هذه الفكرة عن الفروق الطبقيّة بالفعل. ولكن مع (Parasite) أردت أن تكون القصة أكثر عن محيطي الخاص، عن محيطي اليومي الخاص.

يبدو أنك كنت مصمما على تفادي رسم الصورة النمطية عن العائلات الكورية الغنية التي تتبادر إلى الذهن من السينما والتلفزيون.

صحيح، خاصة في البرامج التلفزيونية الكورية الجنوبية ولا سيما المسلسلات، الأشرار التقليديون جشعون بشكل واضح، يعاملون الناس الذين تحتهم بعنف وقسوة كبيرة ويقومون بسحقهم فقط. أتدري، في عام 1995 عندما شاهدت فيلم المخرج (ماثيو كازوفيتش) ”الكراهية La haine“ * لأول مرة، فوجئت برؤية مناطق مثل تلك في باريس. لم أكن أعرف حتى بوجود ”البونليو banlieue“**. عندما كنت أفكر في باريس، كنت أفكر دوما في

المخرج (بونغ)، على الرغم من أن أفلامك محبوبه لروح دعابتها المظلمة، إلا أنها يمكن أن تكون ساخرة في رؤيتها. هل تصف نفسك بالمتشائم؟

لا أعتقد أنني متشائم في كل حيثيّة، لكنني أريد أن أكون صادقا في مواجهة الواقع الذي يقف أمامنا. في فيلم ”طفيلي“ (Parasite)، كان تفكيري هو أن البشرية حققت تطورا مذهلا (مثل الأجهزة المحمولة التي نراها أمامنا)، ولكن إذا فكرنا في الثلاثين سنة الماضية، هل تقلصت الفجوة بين الأغنياء والفقراء؟ لا أعتقد ذلك حقا. عن نفسي لدي ابن، فهل أعتقد أن الأمور ستتحسن في جيله؟ أنا حقا لا أعتقد ذلك أيضا. في الواقع، هذا هو مصدر الكثير من الخوف. لذا أردت أن أكون صادقا مع هذا الخوف والحزن، وأوصله بشكل حقيقي.

هل هذا الخوف أكثر تجليا اليوم، أم أنه شيء كنت تفكر فيه منذ مدة؟

حسنا، لقد بدأت في تطوير هذه الفكرة في عام 2013، مضت ست سنوات بالفعل على وجودها ولكن، بالطبع، لم تكن مسألة الفجوة بين الأغنياء والفقراء في الاستقطاب الاقتصادي

مسرحيًا، لأن القصة ركزت على المكان نفسه، وجرّت أحداثها بنسبة ٩٠ بالمئة داخل المنزلين. إنه تحدٍّ لم يسبق لي أن واجهته من قبل. مفهوم "التوزّع العمودي" مهمّ في الفيلم، بينما كان "التوزّع الأفقيّ" في فيلم (Snowpiercer) هو الأهم.

بعد إطلاق فيلمك (Okja) من إنتاج شركة) نتفليكس (Netflix 2018، هل أنت سعيد بعودتك لصناعة أفلام السينما؟

حين أخرجت فيلم (Okja)، تحدّثت مع المصوّر السينمائي عن طريقة نجعل بها من شاهده على هواتفهم الذّكية يتخلّون عن ذلك، ويضطّرون للذهاب إلى السينما أو استعمال شاشات عرض كبيرة لمشاهدته. صمّمنا الكثير من اللّقطات بحيث لا يصبح لديهم خيارٌ غير الاستسلام، كتلك اللقطة الطويلة جدًّا أين تبدو فيها الفتاة قصيرة للغاية. لكنّي لا أظنّ أنّ تقنية البثّ على شبكة (نتفليكس) سيئة، ولا شكّ أنّني سأسعد بالعمل معهم مجدّدًا؛ لكنّ السينما توفّر أفضل تجربة لمشاهدة الأفلام، فهي على الأقلّ الوسيلة الوحيدة التي لا تتيح لك خيار إيقاف العرض.

هل يبدو هذا كأنه عودة لجذورك باعتبار حجم الإنتاج؟ كان كلّ من (Okja) و(Snowpiercer) إنتاجين ذوي ميزانية ضخمة، بينما لطالما استمتعت بمسار مهنيّ ناجح في صناعة أفلام مستقلة.

نعم، أشعر أنني عدت لإخراج أفلام من هذا الحجم والمستوى والميزانية، مثل فيلمي (Mother) و(Memories of Murders). أما العودة إلى الأفلام الأصغر فقد منحني بعض السّلام وجعلني أكثر انتباهًا لتفاصيل صغيرة في الفيلم نفسه. ولأننا حصلنا على ميزانية كبيرة من أجل(Snowpiercer) و(Okja)، فإنني اضطررت -كمخرج- أن أصرف طاقتي في أشياء أخرى. ففي (Okja) مثلاً، كان لدينا ما يزيد عن ٣٢٠ صورة كبيرة، وفقدت إذّاك قدرًا كبيرًا من طاقتي معها. بالنسبة لـ (Parasite)، كنت سعيدًا للغاية أنني استطعت صرف انتباهي إلى كلّ شخصيّة وتفصيل من الفيلم. مسرحيًا،

مشروع فلوريدا للمخرج (شون بيكر) هو مثال آخر. كوريا الجنوبية بلد ثري ومتقدم جدا ولكن عندما تصبح دولة غنية جدا، تتسع الفجوة بين الأغنياء والفقراء بشكل نسبي.

لسوء الحظ، يبدو أنّ مفر من هذا الصراع الطبقي في كل مكان في العالم تقريبا.

هذا شيء ينطبق على جميع البلدان، نعم. بالطبع، يمكن أن يكون هناك فهم وتعاطف وتواصل بين الطبقات المختلفة، لكنني أعتقد أنه من المعقول جدا أن تؤول الأمور إلى الطريقة التي يتصرفون بها في الفيلم. ندرك جميعا هذه الفجوة بين الأغنياء والفقراء. إنه أمر محزن ومفزع للغاية، ولكن ما هو أكثر إثارة للفرع بشكل أساسي هو الخوف الذي ذكرته سابقا، والذي لن يتم حله في المستقبل، في جيل أطفالنا. هذا شيء نشعر به جميعا، ومن الصعب جدا التخلص منه.

كيف يمكنك ضمان أن الخوف والعاطفة يتم توصيلهما بطريقة حقيقية وإنسانية؟ هل يعود الأمر إلى عواطف الممثلين؟

كمخرج، عندما أتحدث مع الممثلين، أبذل قصارى جهدي لجعل كل حالة تبدو بسيطة وعفوية حتى يتمكنوا من التعامل معها عاطفيا. أنا لا أتحدث عن: "أوه إذا ما قمت بتحليل النص، فهناك هذا التعليق السياسي." لا أعتقد أنه هناك حاجة لمناقشة ذلك. أقول دوما أشياء مثل: "ألا

تشعر بالأسف على هذه الشخصية؟" هذه المحادثات الغريزية التي أجريها مع الممثلين تساعد أدوارهم. لكن يمكن للموقع أن يكون بنفس درجة أهمية الشخصيات أو الممثلين في نجاح الفيلم، على ما أعتقد.

ما الذي تقصده؟

حين أتوصّل إلى أو أفكر بموقع عظيم، أشعر بنفس الحماس الذي ينتابني حين أجد ممثلاً عظيماً. ففي فيلمي "أوكجا Okja"، تبدأ القصة من جبل في ضواحي كوريا الجنوبية ، وتنتهي في شارع (وول ستريت) في (نيويورك)؛ إنها بالفعل رحلة طويلة عبر عدّة قارّات! أما فيلم (Parasite) فيمكن اعتباره إنتاجا



ما هي التفاصيل التي تشعرك بالفخر؟

أردت أن أنتج فيلمًا مفصلاً ومرهفًا، أين يمكنك أن تتشَمَّ رائحة كل شخصيّة. أعتبر نفسي مخرجاً للأفلام ذات التّصنيف الواحد. أعتقد بوجود إمكانية محتملة لتحوّل هذه الأفلام ذات التصنيف إلى سياسيّة، ويبدو هذا واضحاً في أفلام الخيال العلميّ. وبما أنّ كلّاً من (Snowpiercer) و (Okja) يصنّفان ضمن الخيال العلميّ، يمكنك أن تعتبرهما سياسيّين جدّاً. أمّا مع (Parasite)، فأساس القصة يتعلّق أصلاً بالفقراء والأغنياء، ويمكن اعتباره منذ البداية ذو طابعٍ سياسيّ، رغم أنّي لم أرد له أن ينتهي إلى مجرد تعليقاتٍ سياسيّة.

لماذا، برأيك، تبدو هذه الأفلام ذات التّصنيف مشهورة في أيامنا هذه؟

هل هي كذلك؟ كوني صانع أفلام ذات تصنيف ولستُ ناقدًا ذي اطلاعٍ واسعٍ على الأفلام الرّائجة أو المعلن عن إطلاقها، فأنا سعيد لسماع ذلك. لديّ شغفٌ كبير بهذه الأفلام، رغم أنّي-بشكلٍ عامّ- أحبّ أن أتجاوز أو أغيّر من الاصطلاحات المفروضة على الأفلام ذات التّصنيف، إلا أنّي لا أزال أعمل ضمن حدودها. هناك نوعٌ فريد من الانفعال السّينمائيّ الذي تخلقه مثل هذه الأفلام. وهذا ما أحبه بشأنها، لذلك فأنا سعيدٌ لرؤيتها تشتهر.

هوامش:

(*) فيلم فرنسيّ دراميّ ناطق بالإنجليزية ، يتحدث عن ثلاثة أصدقاء صغار ونضالهم للعيش في ضواحي باريس.

(**): كلمة فرنسية تعني أنحاء أو ضواحي المدن، وتعني حرفياً:

المنطقة المحظورة

(***): أحد شوارع باريس في فرنسا، وهو كذلك من أرقى وأفخم الشوارع السياحية والتجارية في العالم، توجد بالشانزليزه أرقى المحلات التجارية العالمية والمطاعم الراقية، كما تكثُر في الشانزليزه المقاهي على جنبات الرصيف والطرقات الجانبية، في نهاية الشارع يوجد قوس النصر أحد معالم المدينة.

المصدر: The Talks

Les Intouchables

صداقة غير اعتيادية

إعداد : إدريس قوادري بوجلطية



يروي لنا فيلم الدراما الفرنسي، من إخراج "إيريك توليدا" و "أوليفير ناكاش" المقتبس من قصة حقيقية حول حياة "فيليب" بتمثيل فرانسوا كلوزيه و "دريس" بتمثيل عمر سي، قصة نشأة صداقة بين فردين متضادين تماما. فيليب، كهل برجوازي فرنسي من عائلة نبيلة مصاب بشلل من رقبتة إلى أخمص قدمه. بينما دريس شاب إفريقي فقير عاطل عن العمل مملوء بالبهجة والحياة.

يبدأ الفيلم من نهايته، أين نرى دريس يقود في شوارع باريس قيادة متهورة، متراهنًا مع فيليب عما إذا كانت الشرطة ستمسك بهما، وهو الأمر الذي يحدث، فيدعي فيليب أنه مصاب بجلطة فينتهي بهما الأمر بخداع رجال الشرطة. يعود بنا المخرج بعدها لأول لقاء بين بطلي الفيلم، قاعة انتظار كبيرة في منزل فيليب الضخم، واجتياز الكثير من الأفراد للقاء عمل كمساعد ومعتني بفيليب بسبب شلله الدائم، وكالعادة نرى أناسا اعتياديين يتقدمون لوظيفة اعتيادية، الأمر الذي يبدو أنه غير مثير للاهتمام على وجه الممثل فرانسوا كلوزيه. قبل أن يدخل دريس للقاعة، يغازل السكرتيرة ويطلب توقيع ورقة مفادها أنه تقدم للعمل لكن تم رفضه، وهنا تبدأ أولى بوادر اهتمام فيليب وتغير نظره وملامحه الباردة. والنتيجة هي حصول دريس على الوظيفة.

في الفن

نرى من منزل فيليب الفاخر أنه إنسان يهتم بالرسم والموسيقى والمسرح، ونرى تجليات ذلك في إنفاقه الكثير من النقود على لوحات فنية، مسرحيات حصرية، وفرق موسيقية. الأمر الذي كان يسخر منه دريس دائما، معتبرا إياه تبذيرا للنقود "فمن الذي يدفع آلاف اليوروهات من أجل لوحة بيضاء عليها صبغة حمراء" كما وصفها، أو من ذا الذي يدفع مئات اليوروهات من أجل مشاهدة حفلة يصرخ فيها أحدهم بكلام غير مفهوم، وحتى من ذا الذي يدفع نقودا لفرقة موسيقية من أجل أداء موسيقى "توم وجيري" حسب تعبير دريس و"سيمفونية" حسب تعبير فيليب. نجد في كل هذه المشاهد صداما بين الإنسان المثقف العميق الذي يعرف كل جوانب الفن، والإنسان البسيط الذي يحاول الاستمتاع بالحياة بكل سطحية. في النهاية، تبقى موسيقى توم وجيري جميلة سواء علمت أنها سيمفونية أو لم تعلم.

في التعاطف

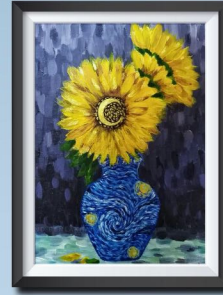
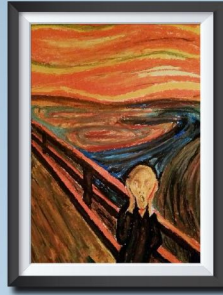
ما جعل دريس مميّزا عن غيره هو نجاحه في إظهار تعاطفه مع المشلول فيليب دون إظهار شعور الشفقة نحوه، ونرى ذلك في محادثة فيليب وصديقه الذي يخبره أن دريس كان مُتورّطا في سرقة ودخل السجن لستة أشهر وقد يكون إنسانا دون شفقة، الكلام الذي يرد عليه فيليب بأن ذلك ما يبحث عنه تماما، لا يريد أن يشعر أحدهم بالشفقة حياله، بل أن يُعامل كفرد عادي بدل التمثيل من أجل جعله راضيا. ونرى مرة أخرى دريس على غير المعتاد، يُكرّر في مشاهد مختلفة من الفيلم نكات سوداوية حول المشلولين، وذوي الاحتياجات الخاصة، تلك النكات التي يستمر فيليب بالضحك عليها بالرغم من أنها تمثله. وأيضا مشاهد يقوم فيها دريس بالرقص أمام فيليب، الأمر الذي يعلمه أن يتعايش مع حالته ويقبل بها، بدل أن ينتظر أن يتوقف الكون من أجله. ويقدم لنا هذا العمل الدرامي درسا مهما في كيفية التعامل مع أناس ذوي حالات خاصة.

في الحب

يجد فيليب نفسه يحدث امرأة لا يعرف من هي، ولا شكلها، ولا حتى صوتها. وعلاقتها حسب رأي فيليب هي علاقة فكرية بحتة (وهو يتخذ هنا مرة أخرى دور المثقف العميق) بينما دريس الشاب المهتم بالجنس والمتعة فقط، يدفعه للخروج من هذا العمق ويقابل حياته العاطفية ومشاعره ببساطة، فيدفعه ليُحِبّها على الهاتف، ثم يطلب صورتها، ثم لقاءها. اللقاء الذي يهرب منه فيليب بسبب عدم حضور دريس. ونرى لأكثر من مرة تلك العبر المكررة، أين يُعلّم الإنسان البسيط السطحي الجمال والسرور للمثقف العميق ويجعل من حياته بهجة لا توصف.

حول العمل مجملا

بالإضافة إلى القصة الجميلة والأداء التمثيلي الرائع من طرفي بطلي الفيلم، لا بد من إنصاف مقاطع موسيقى البيانو، التي ألّفها وعزفها الإيطالي لودوفيكو إناودي، والتي أضافت الكثير من البهجة والسرور لهذا العمل السينمائي. يُعتبر هذا الفيلم الدرامي الممزوج بالكوميديا أحد أحسن ما أنتجت السينما الفرنسية وستبقى قصة الصداقة غير الاعتيادية محفورة في أذهان كثير من المشاهدين.



معرض تشكيلي

هند بن لحدل

طالبة لغة إنكليزية بالمدرسة العليا للأساتذة، بدأ شغفها بالرسم منذ أن كانت في سن الرابعة. حازت على عدة جوائز في عدة مسابقات الرسم للهواة كما شاركت في معارض محلية ووطنية. هدفها نشر الأمل والحب عن طريق الفن





إدوارد هوبر

فنان التباعد
الاجتماعي



إعداد سجاد ثائر

يأسر هذا الرسام الأمريكي الوحدة والغربة التي تزرعها الحياة المعاصرة قينا، وذلك عن طريق تصويره مناظر المدن القاحلة والشخصيات المعزولة. ولكن هذا الوباء أعطى أعماله دلالة مرعبة لم تكن في الحسبان.

فمن منا لم يتأثر بصور الناس الواقفين على أعتاب منازلهم وهم يصفقون للعاملين في مجال الصحة البارحة؟ لقد ملأت هذه الصور شاشات التلفاز والمواقع الإخبارية، مظهرة صورة رقيقة من التكافل والتضامن في هذه الأجواء من العزلة الإجبارية -جميعنا وحيدون ولكننا متوحدين. ولكن هناك العديد من الصور الأقل طمأنة بكثير تدور في مواقع التواصل الاجتماعي، فبعض الناس يقولون أننا أصبحنا نعيش داخل لوحات إدوارد هوبر. وليس مهما أي واحدة بالضبط هي.

أعتقد أن مَرَد ذلك هو أننا متباعدين عن بعضنا البعض، جالسين أمام نوافذنا ننظر بنوع من الوحدة إلى هذه المدن الفارغة بشكل غريب، تماماً كالمرأة الجاثمة على فراشها في شمس الصباح، أو الأخرى التي تنظر خارج النافذة في لوحة Cape Cod Morning.

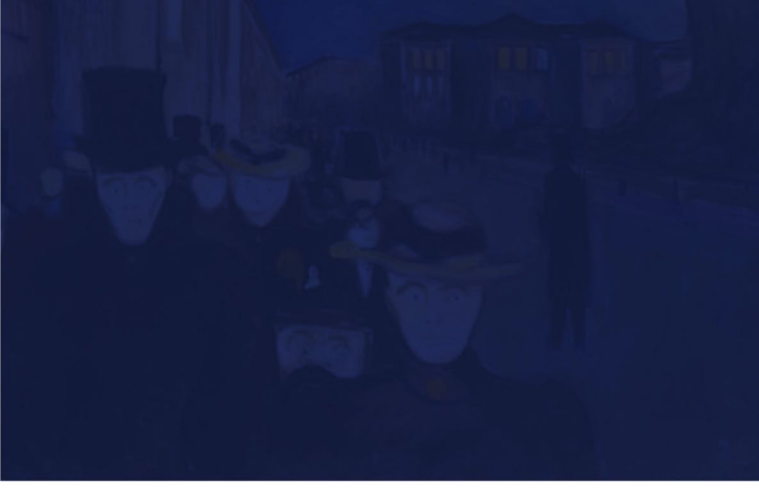
وفقاً للمقاطع المركبة في تطبيق واتساب - WhatsApp، "لقد أصبحنا عبارة عن لوحات إدوارد هوبر الآن": امرأة وحيدة في سينما مهجورة، رجل محروم من رؤية أحبائه داخل شقته العصرية، عامل متجّر وحيد ومجموعة من الناس يجلسون للعشاء متباعدين حول طاولة لشخص واحد. فكما هو الحال مع الميمز، ليس من الواضح إن كانت هذه تعليقات جادة أم مجرد نكت عفوية مع نوع من الشفقة على الذات.

حسناً لنأخذ الموضوع بشكل جدي. فلو كنا حقاً عبارة عن لوحات إدوارد هوبر الآن، فهناك أزمة وحدة وقد تكون هذه الأزمة واحدة من أكبر الآثار الاجتماعية لفيروس كوفيد-19. فقدان التواصل البشري الذي تعودنا عليه قد يحمل عواقب وخيمة. فهذا، في أسوأ الحالات، هو ما يرينا إياه إدوارد هوبر. فهذا الرسام المولود في نيويورك في 1882 جعل من الوحدة عمل حياته. ففي عشرينيات القرن الماضي، بينما كان ف. سكوت فيتزجيرالد يؤرخ لعرايب الحفلات في عصر الجاز، كان هو يرسم أشخاصاً يبدون كما لو أنهم لم يُدعَوْ إلى حفلة واحدة في حياتهم.

إن الحياة المعاصرة عدائية وبشكل متطّرف جداً بالنسبة لهاربر. فليس هناك حاجة للوباء لكي يعزل أرواح شخصياته المسكينة. نوافذ زجاجية صلبة وباردة، مباني حضرية شاهقة حيث يعيش الجميع في شَقَق منعزلة ومكتفين بذاتهم، محطات غاز في وسط المجهول -إن نسيج المدن العصرية والمناطق الواسعة بالنسبة له عبارة عن آلة تولد وتنتج الوحدة. ولا تجد شخصياته أي شيء لكي يقوموا به في عزلتهم هذه مع أنفسهم.

ففي الفن الذي سبقه، كانت الوحدة لها فوائدها. ففي لوحة معنونة بالقديس جيروم في مكتبه - Saint Jerome in His Study، نجد ناسكاً مثقفاً يبدو مرتاحاً في مكتبه ذي التصميم الجميل مع كتبه، منضدته الرائعة - وحيوانه الأليف، الأسد. على الجانب الآخر، فالرومانسي الذي يخرج في جولة على الأقدام في لوحة كاسبر دايفيد فريدريك المتجول فوق بحر الضباب - The Wanderer Above the Sea of Fog يسعى للحصول على العزلة الفخمة لكي يستطيع أن يتشرب سمو الطبيعة من دون أن يتم إزعاجه من قبل البشر. أنه وبشكل هائل راضٍ عن نفسه.

لكن الصور التي يتم مشاركتها اليوم ليست صور الانعزال الاختياري. إنها ومن دون مبالغة -كوابيس ومخاوف هوبر. كان ألفريد هيتشكوك أحد أكبر معجبي هوبر، والذي اقتبس شكل بيت عائلة بيتس الشهيرة في فلم سايكو - Psycho من إحدى لوحات هوبر لبيت قديم وغريب ومهجور على جانب الطريق العام.



ففي أوقات ما قبل الثورة الصناعية،
ترينا مناظر بروجل - Bruegel للحياة
القروية عالماً حيث كان من
المستحيل من الناحية التقنية
للشخص أن يكون وحيداً. إن
التجمعات المزدحمة والكرنفالات هي
كابوس لأي شخص يمارس التباعد
الاجتماعي. نظرة إلى لوحات بروجل
ويمكنك أن ترى لم كان الناس في
بريطانيا مترددين جداً في التخلي
عن حاناتهم -إنها الملاذ الأخير
للماضي البروجلي.

نحن نختار العزلة المعاصرة لأننا نريد
أن نكون أحراراً. ولكن الآن فن هوبر
يطرح سؤالاً صعباً: إذا ما تم إزالة
الحرية من الحياة المعاصرة، هل كل
ما يبقى لنا هو العزلة؟

جميعنا نرغب بأن نتحدّى نظرة هوبر المروعة
للغربة، والفرد المعزل وبدلاً من ذلك ننجو
سوية كمجتمع واحد. ولكن، وبشكل مثير
للسخرية، فإن علينا القيام بذلك عن طريق
البقاء بعيدين عن بعضنا البعض، وقد يبدو
أنه من الخسة والقسوة- الدعاية الفارغة
لمواجهة هذا الفيروس- الإدعاء بأن الجميع
سالمون في منازلهم.

إن الرسالة التي يحاول هوبر إيصالها هي أن
الحياة العصرية يمكنها أن تكون وحيدة جداً.
أن شخصياته معزولون عن الآخرين في
العشاء أو المطعم بالضبط كما لو أنهم
جالسون على نوافذ شققهم. وفي هذا الشيء
فهو فنان معاصر نموذجي. لقد أرانا إدفارت
مونك - Edvard Munch بالفعل في
كوابيسه الليلية في شارع كارل يوهان أن
الازدحامات قد تكون أماكن وحيدة جداً
للشخص لكي يكون فيها.

اليوم، نحن ببساطة أفضل في إخفاء العزلة
التي ظن هؤلاء الفنانين أنها تُعرف الوضع
المعاصر. ففي الأوقات العادية، أيضاً نجلس
وحيدين في المقاهي، ما عدا أننا الآن نملك
هواتف لتساعدنا بالشعور بأننا اجتماعيون.
في الواقع فإن العصرية ترمي عدداً كبيراً من
الناس نحو نمط حياة المدينة الذي يقطع
بشكل تام أشكال العشرة والتآلف الذي كان
في الماضي شيئاً طبيعياً.

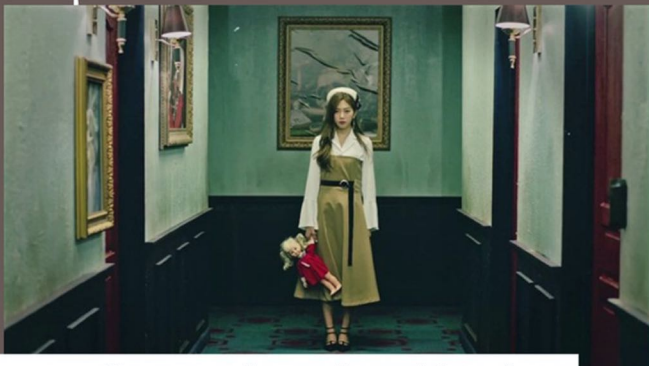
المصدر: صحيفة الغارديان.

الأدب

في أغاني الكيبوب

إعداد : عمر دريوش

عالية (تصل إلى قرابة مليون دولار أحيانا!) وبدرجة كبيرة من التعقيد، فعلى عكس الإنتاج الغربي، لا زال الإنتاج الشرقي يحتفظ بعنصر "المعنى" والرمزية، ويوليه اهتماما كبيرا، وهذا يحسب من أهم أسباب النجاح الذي يحيط به. يتجلى في الكيبوب عنصر المعنى في ال: كونسبت / المفهوم الإخراجي والتصويري، الذي تبني عليه الفرق الكورية إصداراتها، إذ تحرص على اختيارها بدقة (لطيف، مظلم، مضحك، غريب...) وينعكس ذلك على اللباس واختيار الألوان، والكلمات والمشاهد والصور الترويجية والرقصة وغير ذلك.



صورة من الفيديو الموسيقي Chase me

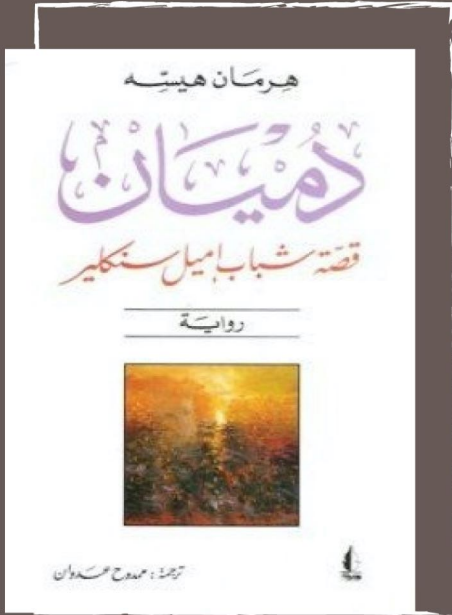
ولكن مع توسّع صناعة الكيبوب بظهور الكثير من الفنانين، الأمر الذي خلق جوا من التنافسية -إضافة إلى غزارة الإنتاج المرتبط بالجودة-، أصبح من الصعب على الفرق إيجاد أفكار مميزة لبناء مفاهيم جديدة لإصداراتهم، خاصة وأن المفهوم الذي تأتي به الفرقة يعتبر وسيلة مهمة للترويج من جهة، وكوسيلة للتواصل مع المعجبين من جهة أخرى.

يعدّ الكيبوب (الكي بوب - بوب كوريا الجنوبية- k-pop) اليوم من أشهر الأنواع الموسيقية المنتشرة في العالم العربي، إذ يعتبر الشرق الأوسط ومنطقة شمال أفريقيا من أكثر المناطق المستضيفة لهذا النوع الموسيقي، الذي أحدث ثورة في مجال الموسيقى عامة ومجال السمع البصري والموضة خاصة.

طريق الكيبوب إلى العالمية منذ اجتياحه السوق اليابانية وإلى اليوم، يحتاج مقالا منفصلا ومفصلا، بل إلى سلسلة مقالات للحديث عنه كصناعة كاملة وعن أسباب نجاحها، وسر معجبيها الذين لا يفارقهم الحماس أبدا، بل حتى عن جانبها المظلم والانتقادات الموجهة إليها، مع أن تاريخ هذه الصناعة لا يتجاوز الثلاثين سنة، والتي جاءت كطريقة لإنقاذ كوريا الجنوبية من أزمتها المالية مع بداية التسعينات. لكن في مقالنا هذا سنركز على جانب تأثر هذا الفن الموسيقي بالأدب والتأثير المتبادل بينهما.

بحث الكي بوب عن "المعنى" وجّهه نحو الأدب.

يعتبر الكي بوب فنا موسيقيا مستحدثا ومميّزا، إذ أنه يعتمد -منذ بداياته- على دمج الموسيقى الكورية بعدة أساليب موسيقية أجنبية -الهيبة هوب بدرجة أخص-. بالموازاة، تعتبر الفيديوهات الموسيقية للكيبوب عنصرا مهما، إذ تمتاز بميزات عالية (تصل إلى قرابة مليون دولار أحيانا!) وبدرجة



الكثير من المقالات والنظريات التي تتحدث عن علاقة رائعة هرمان هسه بالمفهوم الذي طرحته فرقة بي تي إس.



من فيديو كليب أغنية Blood, Sweet and Tears

استلهم أدبي آخر من فرقة بي تي إس كان في أغنية "يوم ربيعي - Spring day"، حيث كانت الفكرة مستوحاة من القصة القصيرة: السائرون بعيدا عن أوميلاس للأديبة الأمريكية أورسولا لي غوين. تحكي القصة عن المدينة الفاضلة/المثالية أوميلاس، أين يعيش فيها الناس سعداء، ولكن شرط هذه السعادة سر خطير، يعرفه كل سكان المدينة في عمر مبكرة، فكيف يستجيبون لهذا السر؟ وقد عرفوا حقيقة عالمهم الذي تحكمه عدالة غير عادلة، هي عدالة الواقع! (هنا تجنب لحرق أحداث القصة)

تعبّر القصة عن إشكالية "معرفة ما يساء معرفته"، فتدفع القارئ إلى التساؤل: هل الأفضل للإنسان أن يعرف حقيقة الواقع ويبقى لمواجهته، أو يرحل ويمضي قدما حاملا معه عبء الحقيقة. هذه هي القضية التي طرحتها الفرقة، كأنها تقول أن الكل

الأمر الذي دفع ببعض الفرق إلى التوجه نحو عالم الأدب والكتب، كوسيلة سواء ل: استلهم مفاهيم إخراجية وتصويرية جديدة للفيديوهات والأغاني، أو لاقتباس كلمات الأغاني بشكل يخدم مفهومهم، بل ويتعدى ذلك أحيانا إلى تأثر بعض الفنانين أنفسهم بالأدب. سنحاول في هذا المقال أن نعرض بعض النماذج باختصار، الغاية منها التنبيه إلى هذه الظاهرة، لا دراستها أو الإحاطة بها كلها.

فرقة بي تي أس - BTS، رائدة في هذا الباب.

لا شك أن فرقة بي تي أس اليوم هي أشهر فرقة كورية في العالم. إلى جانب شهرتها الواسعة بأغانيها الضاربة وعلاقتها الخاصة مع نادي معجبيها، تعتبر الفرقة من أكثر الفنانين الكوريين إصدارا للأغاني والفيديوهات الموسيقية التي تحمل تلميحات من كتب أدبية. تُعرف الفرقة بتناولها للمشاكل الاجتماعية والتحديات التي تواجه المراهقين والشباب، بتسليط الضوء على الجانب المظلم في هذه المرحلة الحياتية الصعبة، وذلك عن طريق سلاسل الأغاني/الفيديو كليات والمفاهيم التي تطلقها الفرقة، والتي تجمع بعضها قصة مثيرة للإهتمام. (أسلوب يجمع بين الذكاء الترويجي والرسالة الفنية).

في هذا السياق جاءت رائعته "دم، عرق ودموع - Blood, Sweet and Tears" من الألبوم الطويل "أجنحة-Wings"، وهي واحدة من تلك الأغاني التي استلهم مفهومها بشكل مباشر من الكتب، إذ اتخذت الفرقة من رواية "دميان" وشخصيتها الرئيسية "إميل سينكلير" عنصر بناء يخدم مفهوم الفيديو الموسيقي للأغنية (والألبوم ككل، الذي يعتبر أول ألبوم ظهرت فيه التلميحات الأدبية للفرقة)، وذلك باستغلال الثنائيات التي جاءت في الرواية: الخير والشر، عالم النور وعالم الوهم، الهامش بين الصبا والنضج، الوعي واللاوعي، الروحانية والقلق. إذ تم استعمال محتوى الرواية لتجسيد رسالة الإنسان الذي يصارع تحديات الحياة ليشكل رؤيته الخاصة للعالم ويجد مكانا فيه.

الإشارة لرواية الأديب الألماني هسه، والذي بدا بشكل صريح بقراءة كيم نام جون (قائد الفرقة) فقرة منها في بداية الفيديو، كانت لها صدى كبير لدى المعجبين، إذ تناقلت الصحف أخبار تزايد مبيعات الكتاب بعد إصدار الأغنية، كما طفت على المنتديات

غاين، الخطيئة الأولى والفردوس المفقود.



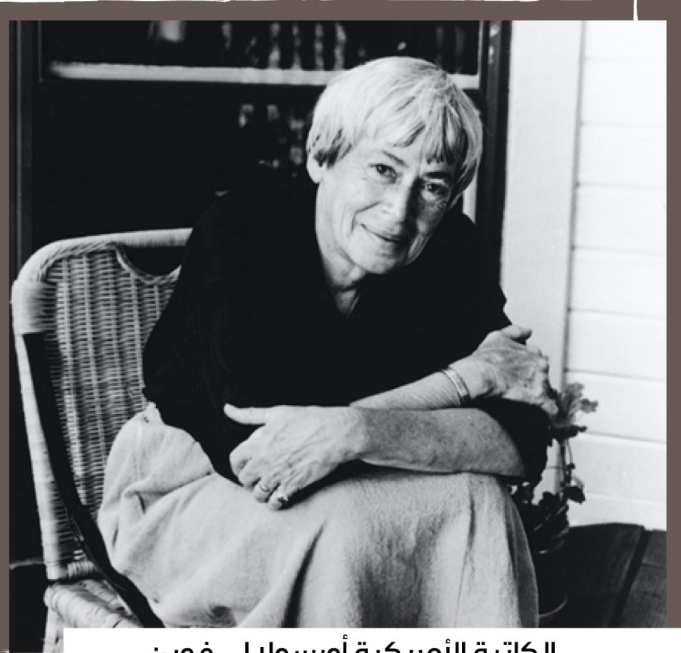
غلاف كتاب الفردوس المفقود

تأخذ الفنانة غاين Ga In- Ga Out في أغنياتها المثيرة الفردوس المفقود - Lost paradise من ألبومها حواء، نسقا جديدا، يعبر عن تأويلية خاصة لقصة الخطيئة الأولى التي كانت نتيجتها الخروج من الفردوس، مستلهمة أغنياتها وفكرتها بتفكيك الملحمة الشعرية التي تحمل نفس العنوان: الفردوس المفقود للكاتب الإنجليزي جون ملتون، التي تحكي قصة هبوط آدم من الجنة، والتي تعالج مواضيع لاهوتية معقدة مثل المصير والثالوث.

يبدأ الفيديو الذي تلعب فيه الفنانة دور حواء، بظهور كلمات متتالية تشير إلى القصة، ثم تأتي الصدمة بظهور كلمة تعاكس القراءة التقليدية للقصة، إذ قامت غاين بعملية تفكيك لهذه "السردية الكبرى" بتعبير الفيلسوف الفرنسي: جين فرونسوا ليوتار، لقصة الهبوط من الجنة وإعادة كتابتها بشكل يخدم مفهومها، باستعمال رمزيات الرواية الكبرى: الإغواء، الجنة، الثعبان بطريقة خاصة.

السرديات الكبرى كما يقول ليوتار هي: ذلك النمط من الخطابات التي تتمركز حول افتراضاتها المسبقة ولا تسمح بالتعددية والاختلاف حتى مع تنوع السياقات الاجتماعية والثقافية، فضلاً عن أنها تنكر إمكانية قيام أي نوع من أنواع المعرفة أو الحقيقة خارجها وتقاوم أي محاولة للتغيير أو النقد أو المراجعة. . تقف تلك الخطابات أو السرديات الكبرى خارج الزمن ولا تسمح بالشك في مصداقيتها وتصر على أنها تحمل في داخلها تصورات شمولية للمجتمع

يأتيه ذلك اليوم ليعرف حقيقة هذا العالم وبشاعته، فبدل أن يرحل ويهرب منه، يمكنه دوما العودة ومواجهته. وهو ما فعلته الفرقة في السلسلة التي أطلقتها، مؤكدة لمعجبيها أنهم ليسوا وحدهم أبداً في التحديات التي تواجههم. ربما هذا من الأسباب الكثيرة التي جعلت فرقة بي تي أس تحظى بقاعدة معجبين وفية أخذتها للمكانة التي هي عليها اليوم.



الكاتبة الأمريكية أورسولا لي غوين



من فيديو كليب أغنية Spring Day، يظهر اسم المدينة الفاضلة

هناك الكثير من الأعمال الأدبية في أعمال فرقة بي تي أس التي تم توظيفها بشكل تلميحات ذكية، وحتى لا نطيل نكتفي بذكر أن: كافكا على الشاطئ، الحارس في حقل الشوفان، داخل متجر السحر، الأمير الصغير، عشرون ألف فرسخا تحت الماء، ١٩٨٤... كل هذه الأعمال الأدبية استعملت بشكل أو بآخر كمفاهيم لألبومات وأغاني الفرقة.

ودائما ما تكون السرديات الكبرى ذات طبيعة سلطوية واقصائية تمارس التهميش ضد كل أنواع الخطابات الأخرى الممكنة.



روبرت لويس ستيفنسون

دكتور جيكل ومستر هايد

غلاف الرواية

تجلى في الأغنية فكرة الرواية "التناقض" من خلال كلمات الأغنية بشكل رئيسي باستعمال الصوت المتناقض الذي لا يمكن للمتكلم التحكم فيه: "لا تهجرني (اهجرني)، أحبك (لا، أكرهك)"، كما تجلى فكرة المعاناة الداخلية عن طريق لحن الأغنية بشكل عام ورقصة الأغنية (الكوريوغرافي) بشكل خاص اولتي تقلد فيها أعضاء الفرقة برسونا (شخصية) شخصيتها الرواية.

توالت بعد هايد أغاني عن الحب والغيرة والهوس، بمفاهيم اعتمدت على الميثولوجيا الاغريقية، وهي الثلاثية التي جاءت إصداراتها تحمل أسماء آلهة الاغريق: زيلوس (إله الغيرة والتنافس)، هادس (إله العالم السفلي)، كريتيوس (إله الحرب). كما حضرت ملحمة هوميروس عند فيكس بتصويرهم لمشهد في أغنيتهم "فانتازي" مبني أساسا على قصة أحد شعراء الملحمة وموسيقييها، وهو: أورفيوس، إذ تم اقتباس قصته مع زوجته التي ماتت من لثغة ثعبان فذهب للعالم السفلي من أجل إعادتها حاملا فقط موهبته الغنائية. على هذه الشاكلة تتوضح موهبة الفرقة في اختراع مفاهيم معقدة بالاقتراس من الكتب والسرديات.

بناء على ذلك، جاء الفيديو من قراءة مختلفة وفق سياق ثقافي جديد، ليركز على قيمة الإرادة الحرة وأن الجنة هي المكان الذي يكون فيه الانسان حرا حسب الفنانة، فتغوي غايين المعجبين بالبحث عن جنتهم، برقصة متعرجة تحاكي فيها حركات الثعبان، مستلهمة بذلك رمزيات الفردوس المفقود لإيصال رسالة الإغواء التي فحواها: استعمل إرادتك الحرة للوصول إلى الجنة التي تبغي، لا التي يفرضها عليك المجتمع. كما تقول في الأغنية كلمات ذات دلالة مباشرة عن ذلك: "هم يتحدثون عن الخيال، هم يخلقون قصة، ليتحكموا في وفيك".

فرقة فيكس: ثنائية الخير والشر، والميثولوجيا الاغريقية.

عند الحديث عن الكونسبتس/المفاهيم الجديدة لإصدارات الكيبوب، تصدر فرقة فيكس - Vixx أوائل القائمة، بل وينعتهم الكثير بأنهم الملوك. فم منذ ترسيم الفرقة وانطلاقها في ٢٠١٢ وهي تبهر المعجبين والمتابعين بأفكارها المميزة، التي هي في مجملها إبداع محض وفي الكثير منها استلهام من الكتب والأساطير الآسيوية والإغريقية وغيرها، الأمر الذي أنتج عشرات النظريات والتحليلات للمفاهيم التي تأتي بها الفرقة في كل مرة. تعتبر مثلا أغنية هايد - Hyde التي ترسمت بها الفرقة بمفهومها المظلم، تسليطا للضوء - عن طريق قصة حُب هوس - على الجانب المظلم من الشخصية الإنسانية، والتركيز على الصراعات الداخلية التي يعيشها الانسان، مستلهمة في ذلك من العمل الأدبي الفخم: قضية الدكتور جيكل والسيد هايد الغريبة، للكاتب الاسكتلندي روبرت لويس ستيفنسون، الرواية التي تتحدث عن الصراع بين الخير والشر داخل الإنسان بدقة علمية ووصفية رهيبه، جعلتها تحظى باهتمام كبير من علماء النفس.

الأدب شمولي وفي كل مكان.

كما نعرف، يتعدى دور الأدب دوما ما نتصوره، ولا حدود لمداه، فهو يتعدى أغلفة الكتب ويتجسد في الأفلام والمسرح والأغاني وحتى مفاهيم الكيبوب كما رأينا في النماذج القليلة السابقة، وهناك الكثير من الفنانين والفيديوهات الموسيقية الكورية الأخرى التي استلهمت واقتبست من الأدب، ولا يسعنا في هذا المقام ذكرها كلها، ونختتم المقال بذكر أمثلة أخرى حتى يتّضح للقارئ مدى توغل الأدب بكل أصنافه وشموليته في الكيبوب الحديث واستخدامه كوسيلة إلهام ودعائم تقف عليها الكثير من إصداراته، من ذلك نذكر:

- آي يو - IU في أغنية زيزي من شجرتي شجرة البرتقال الجميلة.
- استلهم فرقة شاييني - Shinee من شارلوك هولمز في أغنيتهم شارلوك.
- فرقة سي أن بلو - CN BLUE في أغنيتهم سيندريل.
- ...
- وغير ذلك الكثير.

سيكون للذكاء الاصطناعي دور
كبير في إنقاذ الحياة البشرية
في المستقبل القريب

يوسف صامت بوحاك



يوسف الصامت بوحاك، شاب جزائري مهتم بالفكر والفلسفة،
مؤلف لكتاب "رجل القش" الجامع لمختلف المغالطات المنطقية
والانحيازات الإدراكية. ومطور للألواح الإلكترونية التي تعتمد على
تقنيات الذكاء الاصطناعي المختلفة.

من وجهة نظر تبسيطية، ما هو الذكاء الاصطناعي، وماهي أشهر تطبيقاته الحالية؟

عصبونية (Neural Networks)، تتكون الشبكة من عشرات أو مئات الطبقات (layers) التي بدورها تحوي العشرات أو المئات من العصبونات (neurons)، كل طبقة تقوم بتحليل مستوى تجريد أعلى من سابقتها (الانتقال من العموم إلى التخصص)، فمثلا الطبقة الأولى تقوم بالبحث عن أنماط بسيطة (مستوى تجريد منخفض) كالخطوط المستقيمة والمنحنية والمنكسرة، ثم التي تليها تبحث عن أمور أعقد تكون كمركبات للطبقة الأولى كال دائرة والمثلث وأشكال الحروف... إلخ، ثم التي بعدها تتعرف على مستوى أعلى كشكل العين والأذن والأنف التي تمكنها من معرفة وجود شكل وجه من عدمه، إلى آخر الطبقات التي تكون أكثر تخصصا في التفريق بين الوجوه البشرية بشكل دقيق.

هذا فقط شكل من أشكال الذكاء الاصطناعي، هناك أيضا التعلم المعزز (Reinforcement Learning) الذي يحاكي تعليم الأطفال عند البشر، عبر استعمال مفهوم المكافأة والعقاب، بحيث يتم إعطاء حافز للنتائج الإيجابية وإضافة منغص للنتائج السلبية لينقص تكرارها، هذا النموذج موجود بكثرة في برمجة الروبوتات التي تقوم بالاعتناء بنفسها وتحتاج لاتخاذ قرارات متكررة ومراقبة حالتها مع الحاجة لتحسين أدائها باستمرار، فهذا الذكاء لا يتم تعلمه في فترة محدودة وينتهي الأمر (offline)، إنما هو نموذج للتعلم والتحسين المستمر للآلة في فترة حياتها مثل البشر تمامًا.

في أبسط عبارة هو محاولة محاكاة واستنساخ للذكاء البشري باستعمال الحواسيب (المعالجات) فائقة الجودة، بحيث تصبح الآلة قادرة على إنتاج دلالات ومعاني (semantics) في شكل قرارات انطلاقًا من البيانات المجردة والصامتة التي تتلقاها، وهو ما يساعد في حلّ الكثير من مشاكل البشر أو مساعدتهم في حلها.

تطبيقاتها حاليا موجودة في كل شيء تقريبا لكونها تحاول تعويض الإنسان الموجود في كل تفصيل في العالم. من أهم هذه التطبيقات السيارات ذاتية القيادة التي تستعمل الذكاء الاصطناعي (العميق خاصة) في تحليل محيطها (الطريق، اللافتات، باقي السيارات، الراجلون، إلخ) واستنباط معلومات تساعد في اتخاذ قرارات سريعة ومناسبة لوظيفتها. هو موجود كذلك في مجالات الطب والبيولوجيا لتسهيل الوظائف المتكررة والمملة للبشر وكذا تلك التي تتطلب دقة عالية ووقت محدود لتحليل الصور وربط عدد هائل من البيانات في أجزاء من الثانية. ما عدا هاذين المثالين فالذكاء الاصطناعي موجود في كل مكان، حتى أعلى مجالات الفخر والابداع الإنساني كألعاب الذكاء والموسيقى والرسم والتعرف على الأشياء والأشخاص، مما يجعله مستقبلاً واعداً للتكنولوجيا البشرية.

ماهي أهم الفروقات بين الذكاء الاصطناعي والذكاء البشري إن وجدت؟ وهل يقدم لنا الذكاء الاصطناعي معرفة أم بيانات نفسرها نحن البشر لمعرفة؟ أمثلة حول ذلك إن أمكن.

توضيح الفرق صعب جدا لأننا بداية مازلنا لا نفهم ماهية وآلية الذكاء والوعي البشري بطريقة كافية، وهو ما ينعكس بوضوح في نماذج الذكاء الاصطناعي الحالية التي تعتبر كعلبة سوداء، نتعامل معها ببرامجماتية، إذ نهتم لكونها تعمل وتنتج نتائج مفيدة للبشر. ما نعرفه أن الذكاء البشري يعمل عبر فصل المشكل إلى مستويات تجريد متعددة، مثلا التعرف على الوجوه البشرية لأهلك وزملائك يحدث في وقت شبه منعدم فنظن أن ذلك يحدث تلقائياً، لكن الذكاء البشري أو الاصطناعي يمر على مستويات تجريد كثيرة، ففي الاصطناعي مثلا في نسخته الحديثة عبر استعمال شبكات عصبونية

أعتقد أن أهم فرق بين الذكاءين هو فرق تعقيد أكثر منه فوق نوعي

أعتقد أن أهم فرق بين الذكاءين هو فرق تعقيد أكثر منه فوق نوعي، ولحد الآن الذكاء الاصطناعي يقوم بتعويض البشر في الكثير من المهام، المشكل فقط أن البشر يتوقعون منه أن يكون متعدد المهام وهو شيء لا يتم التركيز عليه كثيرًا بعد، لأنه يحتاج لنماذج متعددة (multimodal)، هذه النماذج هي تركيب معقد للنماذج الأولية التي نستعملها حالياً، وهي مازالت غير ناضجة لأنها تحتاج لقدرة علاجية فائقة لا يمكن للمعالجات الحالية توفيرها، فالمشكل هو مشكل تقني أكثر منه علمي، وهو مشابه لتأخر الكثير من النظريات الفلكية في السابق لعدم وجود تليسكوب فعال قادر على التأكد منها. فالكثير من النماذج الحالية وحيدة المهام، يمكنها أن تتعرف على وجه إنسان حتى لو كان لونه بنفسيًا، كما يمكنها أن تتعرف على الأشياء في الغرفة دون إعطاء أي إشارة على سلامة سياقها حتى لو كان السقف تحت الطاولة! وهنا نَصِفُها بقلّة الذكاء رغم أن إضافة تحديد اللون أو السياق ليس شيئاً لا يمكنها فعله ضرورة، هو فقط لم يكن الهدف الذي وضع لها بداية.

ما قد يبدو لنا غير مهم قد يكون هو ما يحدّد من جودة الذكاء الاصطناعي. المهمة في البيانات للتقليل من حجمها، لكن من قراراتهم ومعارفهم على الذكاء الاصطناعي. ما قد يبدو لنا غير مهم قد يكون هو ما يحدّد من جودة الذكاء الاصطناعي، ويقلّص من حريته في البحث عن طرق جديدة و مختلفة لحل نفس المشكل.

نعم، هناك جهود كبيرة في محاولة تحريره من قيود المبرمج والبيانات التي يقدمها له، هناك جزء كبير من التعلم الذاتي يسمى بالتعلم دون إشراف (non-supervised learning) بحيث لا يتم تحديد أي أهداف له، هو نفسه يحدّد الأهداف ويعمل على تطويرها، مثلاً حين تعطيه صور فواكه، هو نفسه قد يضع الموز مع الليمون الأصفر لأن كليهما أصفر اللون، ويضع البرتقال مع التفاح لأن كليهما كروي الشكل وهكذا، فقط من الأنماط المتشابهة التي يجدها يقوم بالتقسيم إلى مجموعات (clustering). نفس المجهود رأيناه في برنامج الشطرنج ولعبة Go المسمّى AlphaZero، ففي النسخة الثانية على عكس الأولى تم إعطاؤه فقط قوانين اللعبة، دون أي تجارب سابقة للاعبين البشر، وأصبح في ساعات قليلة لا يُقهر، مما يشير إلى أن تحديده السابق بتجارب البشر هو ربما ما كان يعيق إبداعه وتطويره لطرق جديدة لحل المشكل.

لماذا توجد مقارنة أخلاقية غير متساوية بين أفعال الذكاء الاصطناعي والفعل البشري؟ ستحدث ضجة لو تسبب الذكاء الاصطناعي في سيارة بدحس طفل صغير في الشارع، مع أن نفس الامر يحدث يوميا بين البشر ولا يتحدث عنه أحد

الفرق مشابه لسهولة إلقاء الشخص للوم على الآخرين في حين يجد ألف تبرير لأخطائه الشخصية، فالبحر يميلون للتقليل من شأن أخطائهم وتحسين صورتهم اتباعاً لنموذج الأنا والآخر. حين يقوم الذكاء الاصطناعي بالخطأ فهو يدخل في دائرة الآخر التي لا تمسنا، وبالتالي يسهل انتقاده ولومه، هذا يعطينا إحساساً بكوننا جيّدين فقط لأننا أجود، حتى لو كنا سيئاً أجود من السيء جداً، هذه هي طريقة تفكير البشر، نسبية وتعمل دوماً بالمقارنة بمرجع. الأمر كذلك قد يعود لصورة الذكاء الاصطناعي التي تعطينا إيها الميديا والسينما بتصويره على أنه المنافس والعدوّ القادم نحو البشر، فكأننا نواسي أنفسنا بتتبّع عثراته، لنقنع أنفسنا أنه لا يمكنه تعويض مكانتنا.

المعرفة هي مجرد بيانات تكون مفيدة، وما يُعتبر معرفة لشخص قد يعتبر مجرد بيانات غير مهمة (irrelevant) لشخص آخر، فهو يقدّم بيانات تكون مهمة ومفيدة في سياق معين، وما لا يكون مفيداً سيتم التخلص منه تلقائياً في مرحلة التعلم (learning). أظن الخلاف هنا هو خلاف مستويات تجريد فقط، إخراج بيانات مفيدة من بيانات عامة هو وظيفة، وكذا تفسير هذه البيانات المفيدة هو وظيفة في مستوى تجريد مختلف، ويمكن للذكاء الاصطناعي القيام بهذه الوظائف حين تُقدّم له البيانات في مستوى التجريد المناسب.

بما أن الذكاء الاصطناعي يعتمد على البيانات التي نقدمها له، ألا يجعله هذا عرضة ليخضع لانحيازاتنا الإدراكية؟ إلى أي مدى يمكن أن تستقل مخرجاته، هل يعمل المبرمجون على تطويره ليصبح أكثر تحرراً من المدخلات؟

هذا سؤال مهم، هو بلا شك معرّض لانحيازاتنا الإدراكية، وهذا مشكل مشهور يقع للباحثين حين يقرّرون التصرف في البيانات (pre-processing) قبل إعطائها لبرنامج الذكاء الاصطناعي، حيث يقومون بتقليص كمية العشوائية والأجزاء غير

في تعامل البشر مع ذكاء اصطناعي قيد حيز الخدمة، ماهي أكثر الأفعال البشرية التي قد تؤثر في الذكاء الاصطناعي وتجعله مردوده سلبيا؟

سيكون له قيمة كبيرة حين نكون محدودين بوقت ضيق وثمين مثلما حدث خلال هذه الجائحة. في نظري، أعتقد أن الذكاء الاصطناعي سيكون له دور كبير في إنقاذ الحياة البشرية في المستقبل القريب، خاصة في مجالات الطب والبيولوجيا وصناعة الأدوية، وكذا في تحليل البيانات الهائلة للمواطنين التي غالبا ما تكون مجرد حبر على ورق يملؤه الغبار، هذا التحليل قد يعطيه القدرة على تقديم تنبؤات وإشارات عملية للناس، لكن في المقابل سيعطي سلطة قوية لمن يملكه إن لم يُستعمل بطريقة راشدة وخاضعة لسيطرة غير مركزية. على كل موضوع استغلال البيانات عمومًا هو موضوع كبير ومختلف يحتاج لتناول خاص.

في سياق الحديث عن الجائحة، نادرا ما يشار إلى الصحة النفسية للمجتمعات، وما ينجم عنها من انحيازات وأحكام مغلوطة، ما هي أبرز المغالطات المنطقية التي رصدتها في الآونة الأخيرة؟

من الطبيعي في حال الأزمات التي تهدد حياة البشر أن تطفو اللاعقلانية إلى السطح، ليعود الأفراد إلى طبيعتهم الأنانية واللحظية الفاقدة للتخطيط والتريث، لا أعلم إن كان يمكنني تذكّر الكثير، لكن المغالطات والانحيازات واللاعقلانية هي العنوان العريض لتصرفات معظم البشر خلال الأشهر الماضية. لقد رأينا الأنانية وكذا انحياز الإسقاط (إسقاط الحاضر المؤقت على المستقبل الدائم) عبر الناس التي تنهافت على ورق المراهيض والمواد الغذائية، رأينا مغالطة المنحدر الزلق عبر تنبؤات غير عقلانية لنتائج الفيروس والوسوسة المبالغ فيها، رأينا مغالطة السبب الزائف في أشكال كثيرة سواء أسباب ظهور الوباء بداية أو أسباب انتقال العدوى، رأينا التشبيهات الزائفة بين دول ومناطق وحتى أفراد بحالات مختلفة تنتج نتائج متباينة، رأينا الكثير من المقالات التي تقوم بالانتقاء في البيانات للخروج بتنبؤات ومقارنات لا صحة لها، رأينا النمطية في التفكير والأحكام المسبقة على مناطق محددة من العالم، رأينا اللامبالاة اللامسؤولة في ردود الفعل الأولى انطلاقًا من المواطن البسيط إلى رؤساء الدول، رأينا الاحتكام للخرافة لمواساة النفس والأقارب، رأينا الاحتكام للسلطات والدراسات في مجالها وغير مجالها مما أعطى في كثير من الأحيان نتائج متناقضة وحيرة وضياع لدى عامة الناس رأينا معلومات خاطئة وأرقام تجهل أبسط مبادئ الاحتمال والإحصاء تعطي نتائج إما تهول الأمر في

أعتقد هي كل الأفعال الارتجالية والمفاجئة التي لم يتدرّب عليها والتي تجعل محيطه مختلفًا عن المتوقع، مما يخلق له صعوبات إضافية في التأقلم والتعامل مع هذه الأفعال. ربما المثال الذي يحضرني هو تعامل الناس مع السيارات ذاتية القيادة، بحيث يقومون حين يرونها لأوّل مرة بحركات غريبة وعجيبة لمحاولة اختبار قدراتها أو لمجرد التسلية، في حين تكون هي مدربة على محيط بشري عادي مشابه لمحيط السيارات العادية أين يتصرف الناس بطريقة طبيعية وعفوية، في الغالب سيتأقلم هذا الذكاء مع كل جديد، لكنها تصعب الأمر فقط وهي في الحقيقة اختبار جيّد لقدرته على التأقلم مع غير المتوقع.

ماهي حدود التخوف من تطور الذكاء الاصطناعي؟ وإلى أي أحد يعتبر هذا التخوف مبررا؟

لا أظن أنه هناك حدٌ للتخوّف، لأننا فعلاً تُجاه مجهول حقق في سنوات قليلة أكثر مما حققت الخوارزميات الكلاسيكية في عقود، فالأمر يدعو على الأقل للحذر، والتاريخ يخبرنا عن مدى هوس البشر بتصور المجهول وتطوّره في خيالهم (هنا نتكلم عن أمور لا تزال في مقام الخيال كالكائنات الفضائية والسفر عبر الزمن، إلخ)، ما بالك بما هو موجود حقيقة في حياتنا وهو يتطوّر بسرعة رهيبة. ككل موضوع هناك في البشر من كل أطيافه، لكن التخوّف من خروج الأمر عن السيطرة هو تخوّف في نظري مبرّر، خاصة أننا نعلم أن ما يحدد مستقبل الموضوع يخرج عن مجاله إلى مجالات أخرى كالسياسة والاقتصاد والمجالات العسكرية، أظن على المدى القريب تخوّفنا هو من استغلال بعض البشر ذوي النفوذ له أكثر منه هو ذاته.

استغلت الكثير من الحكومات جائحة فيروس كورونا المستجد للحصول على بيانات كبير متعلقة بالمواطنين، وقد أشار لهذا الكثير من المفكرين العالميين، كيف ترى تطبيقات الذكاء الاصطناعي في هذا الصدد مستقبلا؟

إن كان هناك شيء يتفوّق فيه الذكاء الاصطناعي بمراحل، فهو سرعة التحليل ودراسة البيانات الهائلة والمعقدة التي تأخذ من البشر وقتاً وجهداً قد يكون في كثير من الأحيان مستحيلاً على أي إنسان. وهذا

منشورات (٣٠ منشور) على منصة فيسبوك تحت هاشتاغ #الحشو المنطقي، ثم بنفس العفوية حين أنهيتها راسلني صديق فلسطيني صاحب دار ترجمة يقترح عليّ أن أجمع المنشورات في كتاب مع تفصيل أكبر لنشره، فقررت اغتنام الفرصة وكتابة محتوى أكبر يكون دليلاً مختصراً وتبسيطاً للمغالطات المنطقية والانحيازات الإدراكية.

لذلك فتجربتي قد لا تعكس الحالة العادية للموضوع، لكن بلا شكّ النشر الرسمي عبر دار نشر لها هياكل وأذرع في المجال وقدرة على التوزيع الواسع كان أكثر فعالية في إيصال المحتوى لعدد كبير من الناس، في حين مجرد النشر على مواقع التواصل سيبقى منحصراً على قائمة أصدقائك ومتابعيك ومتابعيهم في أفضل الأحوال. ثم الأمر يتعلق بالإضافة التي يقدمها المحتوى الذي تنشره مقارنة بما هو موجود، وفي مجال المنطق والتفكير النقدي والفلسفة عمومًا، فلا شكّ أنّ أكبر قيمة يمكن إضافتها هي التبسيط وتقريب المضمون لعامة الناس، وكذا الواقعية والعملية التي تجعلهم يرون المضمون في حياتهم اليومية والبعد عن التنظير المجرد والمنفصل عن الواقع.

الناس أو تنمّي فيهم إحساسًا زائفًا بالأمان. أظنه كان ومازال اختبارًا مفيدًا للبشرية عبر كل المستويات الفردية والجماعية.

إنسان متمرس في المنطق والانحيازات الإدراكية، وكذا في تقنيات الذكاء الاصطناعي، ماهي أهم النقاط التي تنصح بها أي مهتم بأحد المجالين؟

هذا سؤال عام، ويصعب تحديده في أسطر. أعتقد أهم عامل كما في معظم المجالات هو الممارسة، الممارسة هي التي تجعلك تلامس العظم وتختبر حقيقة الشيء بعيدًا عن الإنشاء، من الجيد ألا تنطلق من فراغ وأن يكون لك اطلاع على التنظير في المجال، لكن اجعل ذلك كحاجة لا كهدف، حين تلمس تفاصيل الشيء في الواقع ستعود أحيانًا للتنظير حال الحاجة، لكنك ستكون بكلّ رجلك في الوحل تصارع وتتعلم. مارس التفكير والمنطق بالنقاش المتفتح دون التعلّق بالأفكار والايديولوجيات المغلقة، مواقع التواصل الاجتماعي تتيح ذلك بشكل مكثف، لكن مجددًا لا تحوّلها لهدف، حين تصبح مكررة بلا فائدة وتكون بحاجة إلى العودة للتنظير ستعلم ذلك. كذلك تعلم تحديد الأولويات، ولا تغرق في التفاصيل المتفرقة، حين يكون لك هدف وألوية ستبقى مركّزًا عليه وستعرف متى تقول لموضوع معين "ليس الآن"، بدل تتبع الموضوعات الفكرية. بالنسبة للمجالات التقنية، فالممارسة فيها أهم بمراحل، وأنت لا تعرف شيئًا فيها دون ممارسة حتى لو كنت تحفظ أناجيل المجال عن ظهر قلب. ولا تفكّر كثيرًا في البداية، فقط ابدأ الآن كما أنت. فكما يقال المثالي عدوّ الجيد، والتنظير هو عدوّ العمليّة الأوّل.

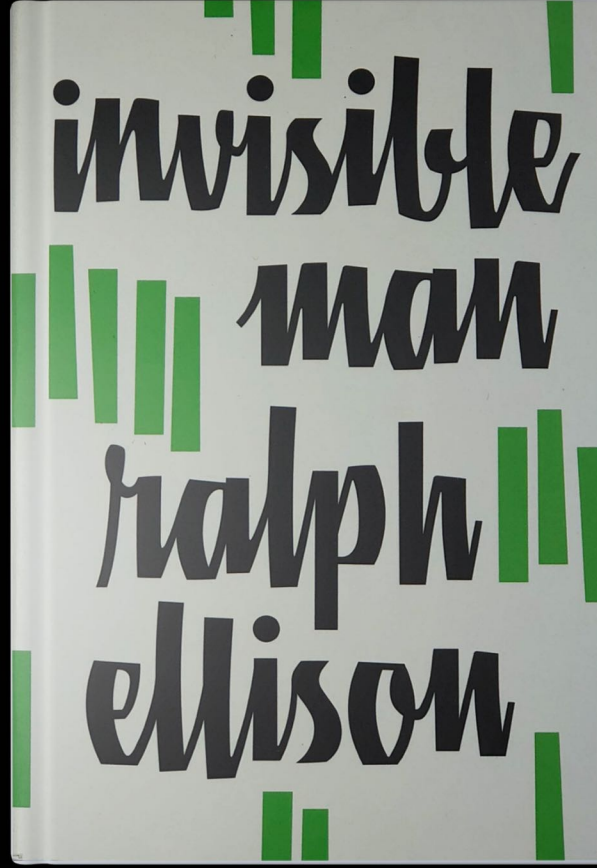
ختامًا، كتابك رجل القش الخاص بالمغالطات المنطقية والانحيازات الإدراكية، جاء بعد نشرك لسلسلة منشورات حول المغالطات المنطقية على منصة فيسبوك، كيف يمكن أن تخلص لنا كلتا التجربتين؟ وأيهما هي الأحسن في نشر الفكر النقدي المنطقي؟

في الحقيقة مازلت لا أعتبر تجربتي في الكتابة والنشر تجربة تستحق الكلام عنها طويلاً، فقد كانت عفوية ودون أيّ تخطيط. عفوية لدرجة في صيف ٢٠١٧ ردّ شخص على تعليق لي يوضح المغالطات الموجودة في منشور لصديق، يقترح في ردّه الكلام عنها في شكل منشورات، فقررت القيام بسلسلة



لقد كان اسمه كليفتون وقد كان أسوداً وقد أردوه قتيلاً.

ترجمة: سجاد ثائر
تدقيق لغوي: عمر دريوش



في هذا النص المترجم من رواية رجل خفيّ - Invisible Man
لرالف إيلسون (الصفحات 454-459)، يقدم بطل الرواية
خطبة تأبينية على روح زميله الشاب تود كليفتون الذي قُتل
من قبل شرطة نيويورك فقط لأنه أسود، وقد حدث هذا أمام
مرأى الجميع في الشارع بعد أن اصطدم عن طريق الخطأ بأحد
أفراد الشرطة. لقد كُتبت هذه الرواية قبل أكثر من نصف قرن
ولكن لا فرق بين اليوم والأمس.

هنالك ثقب في كعب جوربه وبدت قامته أقصر عندما تمدد هناك منها عندما كان يقف منتصباً. وهكذا مات؛ ونحن الأشخاص الذين نجبه قد تجمّعنا هنا اليوم لكي نرثيه. إن الأمر بهذه البساطة وبهذا القصر. لقد كان اسمه كليفتون وقد كان أسوداً وقد أردوه قتيلاً. أليس قول هذا الشيء بكافٍ؟ أليس هذا هو كل ما تحتاجون لمعرفته؟ ألا يروي هذا الشيء عطشكم للدراما ويرسلكم إلى البيت لتناموا هناك وتنسوا كل شيء؟ اذهبوا واشربوا كأساً وانسوا الأمر. أو اقرؤوه في صحيفة الصباح. لقد كان اسمه كليفتون وقد أردوه قتيلاً وقد كنت هناك لأشاهده يسقط. لذلك أنا أعرف الأمر بحق.

هاكم الحقائق. لقد كان واقفاً ثم هوى. هوى ثم ركع. ركع ثم نزع. نزع ثم مات. لقد سقط متكوراً على الأرض مثل أي إنسان آخر وسال دمه مثل أي دم؛ أحمر مثل أي دم، رطب مثل أي دم وقد كان دمه يعكس السماء والمباني والطيور والأشجار، وربما وجهك إذا نظرت ببلاهة نحو هذه المرأة القانية - وقد جف في الشمس مثلما يجف الدم. هذا كل شيء. لقد سكبوا دماءهم وقد نزع. لقد أردوه أرضاً وقد مات؛ لقد ساح الدم على الرصيف على شكل بركة صغيرة، لقد لمع الدم لفترة قصيرة، ثم، بعد فترة قصيرة بدأ يهت ثم أصبح قاتماً، وفي النهاية جف. تلك هي القصة وتلك هي نهايتها. إنها قصة قديمة وتحوي الكثير من الدماء لإثارتكم. كما أن هذا الدم ليس له أهمية إلا عندما يملأ عروق إنسان حي. ألم تتعبوا من مثل هذه القصص؟ ألم تسقموا من الدماء؟ إذا لم تستمعوا، لم لا تغادروا؟ درجة الحرارة عالية هنا. هناك عبق روائح من سائل التجميل. الحانات تحوي بيرة باردة، معزوفات سافوي للساكسوفون سيكون سجيناً للنفس؛ الكثير من الضحكات الممتزجة بالكذب في محلات الحلاقة والصالونات؛ وسيكون هنالك مواظ دينية في مائتي كنيسة في جو المساء العذب، والكثير من الضحك في السينما. اذهبوا للاستماع لبرنامج "أموس وأندي- Amos and Andy" وانسوا الموضوع. فلا يوجد شيء هنا غير القصة القديمة ذاتها. حتى أنه لا يوجد هنا زوجة شابة مُنْشِحة بالأحمر لكي تنوح عليه. ليس هناك شيء هنا يستدعي شفقتكم، ليس هناك شخص هنا لينهار ويبداً بالعيول. لا شيء هنا ليمنحكم ذلك الإحساس المثير للقلق. إن القصة شديدة القصر والبساطة. لقد كان اسمه كليفتون، تود كليفتون، لقد كان أعزلاً وقد كان موته بارداً ببرودة حياته الباهتة. لقد كافح لأجل الجماعة في أركان مئات الشوارع وقد ظن أن هذا الشيء سيجعله إنساناً

بدأت بعد أن وُخِزني أحدهم بكوعه. لقد حان وقت الكلمات الأخيرة. ولكي لم أملك أيّاً منها كما أنني لم أحضر جنازة للجماعة من قبل ولا علم لي بطقوسها. لكنهم كانوا ينتظرون. وقفت هناك وحيداً؛ لم يكن هناك سماعة لتدعم صوتي، لم يكن هناك شيء أمامي سوى النعش محمولاً على ظهر مَسَانِدِ الخشبية المتداعية.

نظرت إلى الأسفل، إلى وجوههم التي لفتحها الشمس، نظرت باحثاً عن شيء لأقوله، وشعرت بتفاهة كل ما من حولي وبغضب ساحق يعتريني. أمن أجل هذا اجتمع هؤلاء بالآلاف. ما الذي أرادوا سماعة؟ ولم أتوا؟ لأي سبب مختلف عن ذلك الذي دفع الفتى ذي الحدود الموردة للتحمس لمشهد سقوط كليفتون على الأرض؟ ماذا أرادوا وما الذي كان باستطاعتهم القيام به؟ لماذا لم يأتوا عندما كان بإمكانهم منع كل هذا من الحدوث؟

صرخت بشكل مفاجئ، "ماذا تريدون مني أن أقول؟" بُح صوتي بشكل مفاجئ بسبب الجو الجاف. "ما الفائدة؟ ماذا لو قلت أن هذه ليست جنازة، ولكنها احتفال شعبي، وإن انتظرت قليلاً ستبدأ الفرقة بعزف 'Damit-the-Hell the Fun's All Over'؟ أم توقعتم رؤية بعض السحر، أن يقوم الأموات ويسيرون من جديد؟ اذهبوا إلى منازلكم، إنه ميت الآن مثلما سيكون دوماً. هذه هي النهاية في البداية، ولن يكون هناك بعث جديد. لن تكون هنالك أي معجزات ولن يكون هناك شخص يلقي موعظة. اذهبوا إلى منازلكم، إنسوه. إنه داخل هذا الصندوق، ميت حديثاً. اذهبوا إلى منازلكم ولا تفكروا بأمره. إنه ميت وعليكم بذل جهودكم في التفكير بأنفسكم." توقفت. لقد كانوا يتهايمسون ويرفعون نظريهم نحوي.

"لقد أخبرتكم أن تذهبوا إلى منازلكم" صرخت فيهم، "لكنكم ما زلتهم واقفين هنا. ألا تعرفون أن الجو حار في الخارج هنا في الشمس؟ فماذا لو انتظرتهم لاستماع الأشياء القليلة التي يمكنني قولها لكم؟ فهل يمكنني أن أقول في عشرين دقيقة ما استغرق بناؤه واحداً وعشرين سنة وإنتهى في عشرين ثانية؟ ماذا تنتظرون، فكل ما يمكنني أن أقوله لكم هو اسمه؟ وعندما أخبركم ذلك، فما الشيء الذي ستعرفونه والذي لم تكونوا تعرفونه مسبقاً، ما عدا، اسمه ربما؟"

لقد كانوا يستمعون باهتمام حاد، كما لو أنهم لا ينظرون إليّ، بل إلى أنماط صوتي المتشكلة في الهواء. حسناً إذا، سوف أخبركم. لقد كان اسمه كليفتون وقد كان

أين استقرت بعد ذلك.

وهكذا كانت الحياة القصيرة والمريرة للأخ تود كليفتون. الآن هو في هذا الصندوق والمزلاج قد أغلق عليه. إنه داخل الصندوق ونحن هناك معه، وعندما أخبركم ذلك فعدنها يمكنكم المغادرة. إن الجو في الصندوق مظلم ومزدحم. إنه يحوي سقفاً متصدعاً ومراحضاً فائضاً في الصالة الرئيسية. إنه يحوي فئراناً وحشرات، وهو مسكن مكلف، مكلف جداً. إن الهواء سيء وسيصبح الصندوق بارد في هذا الشتاء. إن تود كليفتون مختنق ويحتاج لإخلاء الجوله. "قل لهم أن يخرجوا من الصندوق"، هذا ما كان سيقوله لو استطعتم سماعه. "قل لهم أن يخرجوا من الصندوق ويذهبوا لتعليم الشرطة أن ينسوا تلك القافية. قل لهم أن يعلموهم أنه عندما يدعوكم زنوج-nigger لكي يجعلوها تتفق مع زناد-trigger فإن السلاح سينفجر في وجوههم.



إذا هاكم ها قد حصلتم عليها. في خلال عدة ساعات سيكون تود كليفتون عبارة عن عظام باردة في الأرض. ولا تخدعوا أنفسكم، فهذه العظام لن تقوم مجدداً. سنبقى أنا وأنتم داخل الصندوق. لا أعلم إن كان تود كليفتون يملك روحاً. كل ما أعرفه هو الألم الذي أستشعره في قلبي، إحساسي بالخسارة. لا أعرف إن كنتم تملكون روحاً. كل ما أعرفه أنكم بشر من لحم ودم؛ وأن هذا الدم سيُسكب واللحم سيزول ويبرد. لا أعرف إن كان كل رجال الشرطة شعراء، ولكني أعرف أن جميعهم يحمل مسدسات مزودة بأزودة-triggers. وأعرف بشكل جيد كيف يتم تصنيفنا. لذا باسم الأخ كليفتون احذروا الأزودة-triggers. اذهبوا إلى منازلكم، إبقوا هادئين، إبقوا آمنين بعيدين عن الشمس. انسوه. لقد كان أملنا عندما كان حياً، ولكن لم القلق على أمل ميت؟ لذا بقي شيء واحد لقوله وقد قتلته بالفعل. لقد كان اسمه تود كليفتون، لقد آمن بالجمعية، لقد رفع آمالنا وقد مات."

أكثر، ولكنه مات مثل أي كلب في الشارع.

لقد صرخت وأنا أشعر بالعجز، "حسناً حسناً." لم تكن هذه هي الطريقة التي أردتها أن تؤول إليه، لم تكن الخطبة سياسية. على الأرجح أن الأخ جاك لن يرضى عنها أبداً، ولكن على الاستمرار قدر استطاعتي. صرخت فيهم، "استمعوا إلى وأنا أقف على هذا المدعو جبلاً! دعوني أقصها عليكم كما حدث بحق! لقد كان اسمه تود كليفتون وقد كان ممثلاً بالأوهام. لقد ظن أنه إنسان عندما لم يكن سوى تود كليفتون. لقد أردى قتيلاً بسبب خطأ بسيط في الحكم، وقد نزع وجف دمه وبعدها بفترة قصيرة سار المشاة على أثار دمائه. لقد كان خطأ بسيطاً يقع فيه الكثيرون: لقد إفترض أنه إنسان وأنه لا يفترض بالإنسان أن يدفع جانباً. لكن الجو كان حاراً في وسط المدينة وقد نسي تاريخه، لقد نسي الزمان والمكان الذي هو فيه. لقد فقد إدراكه للواقع. لقد كان هناك شرطياً وجمهوراً منتظراً لكنه كان تود كليفتون والشرطة في كل مكان. الشرطي؟ ماذا عنه؟ لقد كان شرطياً. مواطناً صالحاً. لكن هذا الشرطي كان يملك حكمة في إصبعه وأذنا متحمسة لكلمة على قافية "trigger-زناد"، وعندما سقط كليفتون عندها وجد قافيته. رتلت الشرطة الأسطر بطريقتهما الخاصة واكتملت القافية. فقط انظروا من حولكم. انظروا لفعلة، انظروا في باطنكم واستشعروا قوته الرهيبة. لقد كان شيئاً طبيعياً بالكامل. لقد سال الدم كما يسيل الدم في جريمة قتل كارتونية، في شارع كارتوني في مدينة كارتونية في يوم كارتوني في عالم كارتوني.

لقد كان تود كليفتون شخصاً استثنائياً. ولكن ما علاقة هذا بكم في هذا الجو الحار الملتفح بالشمس؟ إنه جزء من التاريخ الآن، وقد تلقى حريته الحققة. ألم يقوموا بحفر اسمه على لوح رسمي؟ عرقه: ملون! ديانتته: غير معلوم، على الأرجح ولد معمدانياً. محل الولادة: الولايات المتحدة، إحدى المدن الجنوبية. أقرب أفراد العائلة: غير معلوم. العنوان: غير معلوم. الوظيفة: عاطل. سبب الوفاة (بدقة): رفض تقبل الواقع على شكل مسدس عيار 38 في يد ضابط الاعتقال، في الشارع الثاني والأربعين ما بين المكتبة والمترو في حر الظهيرة، جراء إصابات بعبارات نارية ناتجة عن ثلاث رصاصات، أطلقت في ثلاثة مراحل، رصاصة اخترقت البطن الأيمن للقلب، واستقرت هناك، الثانية قطعت الحبل الشوكي ونزلت للأسفل لكي تستقر في الحوض، والأخيرة اخترقت الظهر والله وحده يعلم

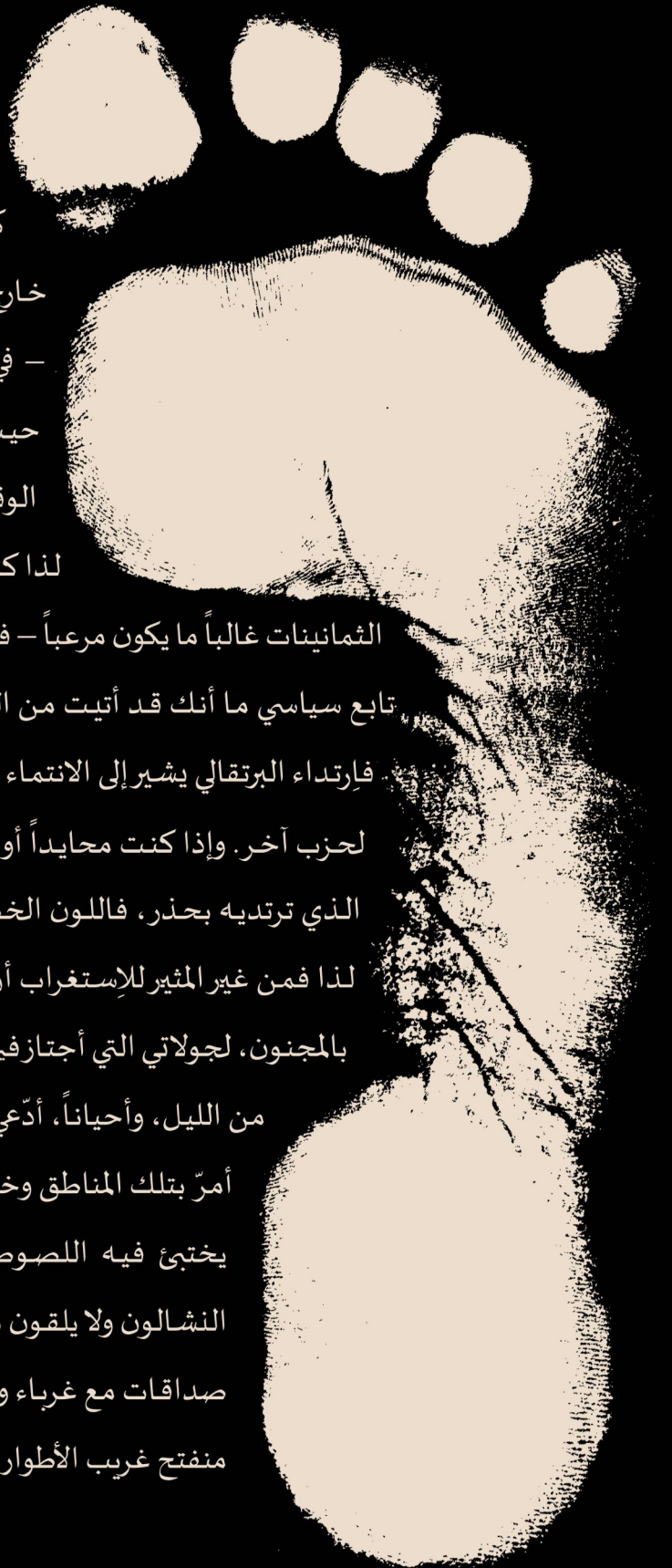


ذنبى الوحيد هو أنتي أسود يحب المشي

ترجمة: سماح صلاح ورامي نزلي

غارنيتي كادوغان، حول حقيقة أن تكون
أسودا في الولايات المتحدة الأمريكية.

بدأ حبي للمشي منذ الطفولة، بحكم
الضرورة. مع وجود زوج أم قاسي المعاملة،
كانت لدي كل المسببات التي تدفعني للبقاء
خارج المنزل، لذا قضيت أغلب الوقت في الخارج
– في منزل بعض الأصدقاء أو حفلة في الشارع
حيث لا يتوجب وجود القاصرين – حتى يصبح
الوقت متأخراً جداً لأستقل المواصلات العامة.
لذا كنت أمشي. كان شارع كينغستون، جامايكا، في
الثمانينات غالباً ما يكون مربعاً – فعلى سبيل المثال، قد تتعرض للقتل إذا اعتقد
تابع سياسي ما أنك قد أتيت من الحي الخطأ، أو حتى إذا ارتديت اللون الخطأ.
فارتداء البرتقالي يشير إلى الانتماء لحزب معين وارتداء الأخضر يشير إلى الانتماء
لحزب آخر. وإذا كنت محايداً أو قدِمْتَ من مكان بعيد، فعليك اختيار اللون
الذي ترتديه بحذر، فاللون الخطأ في الحي الخطأ قد يعني أنه يومك الأخير.
لذا فمن غير المثير للإستغراب أن يصفني أصدقاؤني والمارة الليليّون النادرون
بالمجنون، لجولاتي التي أجتاز فيها المناطق السياسية المتحاربة في وقت متأخر
من الليل، وأحياناً، أدّعي الجنون، أصبح بكلامٍ عبثيٍّ غير لازم، عندما
أمرّ بتلك المناطق وخاصة المواقع الخطرة منها، كذلك المكان الذي
يختبئ فيه اللصوص على ضفاف مجاري الصرف، فيضحك
النشالون ولا يلقون بالاً لفتى بزيه المدرسي يتفوه بالتّرهات. أقمت
صداقات مع غرباء وتحولت من فتى خجول غريب الأطوار إلى فتى
منفتح غريب الأطوار.



في الليل إلى سجادة من الأضواء المبعثرة تحت ستار من النجوم، بينما أمشي متنداً عند تشعبات الطبقة الوسطى المختبئة خلف جدران عالية من الأسلاك الشائكة، وأمشي مشية متعرجة عبر أحياء من أكواخ الزنك والخشب المصطفة معاً والمائلة كمجموعة مترابطة من راقصي الليمبو. وبينما أواصل نزولي تزداد حيوية حياة الشارع، عدا بعض الأماكن، إذ تُعرف بعض الأحياء الفقيرة بالعنف المسلح والشوارع المهجورة على نحو غريب التي تتميز بها سينما الغرب المتوحش. وأنا على معرفة كافية لتجنبها حتى في منتصف الظهيرة. كنت أجوبها بعد أن يحل الظلام عندما كنت في العاشرة. وفي سن الثالثة عشر كنت نادراً ما أكون في المنزل قبل منتصف الليل وأحياناً أنسى نفسي في الخارج حتى الفجر. فتوبخني والدتي في كثير من الأحيان قائلة: لماذا تحب الشوارع إلى هذا الحد؟ لقد ولدت في المشفى وليس في الشوارع.

غادرت جمايكا عام 1996 لارتداد الجامعة في مدينة نيو أورلينز، مدينة معروفة باسم "مدينة شمال البحر الكاريبي". أردت أن أكتشف - مشياً على الأقدام طبعاً - ما هو البحر الكاريبي وما هو أمريكي بخصوصه. هنالك قصور فخمة على شوارع تصطف على جانبيها أشجار البلوط، بينما يعم صخب السيارات الأرجاء، ناهيك عن البيوت ذات الألوان الهية التي تجعل المبنى بأكمله يبدو كمهرجان، وأناس بملابس زاهية يرقصون على الموسيقى التي تعزفها فرق الآلات النحاسية في وسط الشارع، فضلاً عن المطبخ -والنكهات- الذي يتبني خليطاً من تقاليد الطهي من أفريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا الجنوبية، بالإضافة إلى تلاحم من عوالم قديمة وجديدة، غريبة ومعروفة: من قد لا يود استكشاف ذلك؟

في يومي الأول في المدينة، خرجت للمشي بضع ساعات للتعرف على المكان، ولشراء بعض الحاجيات لتحويل غرفة نومي من عنبر سجن إلى مكان رحب. عندما اكتشف بعض أعضاء كادر الجامعة ما كنت أروم إلى فعله، نصحوني محذرين بتقييد مشي في الأماكن التي توصف بأنها آمنة للسياح وآباء الطلبة الجدد. فقدموا إحصائيات حول معدل الجريمة في نيو أورلينز. لكن هذا المعدل لا شيء أمام معدل الجريمة في كنفستون، وقررت تجاهل هذه

كان كل من الشحاذ، البائع، والعامل الفقير من ذوي الخبرة في التجوّل، وأصبحوا بمثابة مرشدين لي في فترة الليل: إذ كانوا على معرفة بالشوارع وأعطوني دروساً حول كيفية التنقل والاستمتاع فيها. تخيلت نفسي كتوم سوير* جمايكي، تارة أمشي الهويني في الشوارع لالتقاط المانجو المعلقة على ارتفاع منخفض إذ بإمكانني التقاطها من الرصيف، وتارة أخرى أخرج إلى حفلة شارع حيث أجهزة الموسيقى الصاخبة، كلّ منها مرفق بمكبر صوت يبلغ صوته أعنان السماء. لم تكن تلك الشوارع مخيفة. كانت مليئة بالمغامرة حينما لم تكن هادئة.

هناك بإمكانني الانضمام إلى فرقة من الجواله المتطفلين، الذين يُفوتون الباص الأخير بدقائق فقط، بينما نمشي على أقدامنا رافعين إبهامنا للسيارات المارة من أجل توصيلة مجانية لأقرب مناطق مؤدية للمنزل، فنلقي النكات بينما يتجاوزنا الباص تلو الآخر مسرعاً بالقرب منا. أو أضيع في لحظات من أحلام اليقظة، ودماعي الشاب يتخيل مستقبلاً مختلفاً. كانت الشوارع تمنحني شعوراً بالأمان من نوع خاص، على خلاف المنزل، هناك يمكنني أن أكون نفسي بلا خوف من أذى جسدي. أصبح المشي أمراً منتظماً ومعتاداً وبذلك الطريقة أصبح الشارع منزلي.

كانت للشوارع قواعدها، وأحببت أن أتحدى نفسي في محاولة إتقانها. تعلّمت كيف أكون منتبهاً للأخطار المحدقة والمسرات القريبة، مُباهياً نفسي بسرد تفاصيل قوّتها أقراني. كانت كنفستون خريطة من التعقيد، وغريبة غالباً من النواحي الثقافية والسياسية وفي نشاطها الاجتماعي، عيّنت نفسي رساماً لخريطتها الليلية. كنت أعلم كيف أنجوب نفسي من موقف محتدم، وأن أسارع لتبادل أطراف الحديث حينما يُظهر إيقاع مشية ما الود. وكان كل من التقيت بهم تقريباً من الرجال. أن تمشي امرأة وحيدة في منتصف الليل كان أمراً نادراً الحدوث كرؤية ساسكواتش*. فتمشية ليلية قد تُعرضها لخطر كبير. أحياناً وأنا أحتّ خطاي في الليل نزولاً من التل أعلى كنفستون، يتملّكني شعوراً بأن المدينة في وضعية التوقف أو في وضعية التشغيل البطيء للغاية، بينما أنزل كنت أعبر من خلال تقسيمات جامايكا الاجتماعية. حيث أشق طريقي بحذر، ماراً بالقصور عند التلال المطلة على المدينة، والتي تتحوّل

مع الناس الذين قد يرونك كمصدر تهديد. إذا لم أفعل، قد أعرض نفسي للخطر).

بدأت نيو أورلينز تبدو أخطر من جمايكا. كان الرصيف كحقل الغام، وكل حالة نفور أقابلها بضبط للنفس كانت تقلل من كرامتي. بالرغم من جهودي، لم تكن تلك الشوارع آمنة بشكل مريح أبداً. حتى تحية بسيطة قد تثير الشبهة. في إحدى الليالي، كنت عائداً إلى المنزل، كان قد مضى ثمان سنوات على وصولي، حسبت أن لدي الحق لأسمي تلك المدينة موطني بعد كل هذا الوقت، لوحت لشرطيّ يقود بالجوار. بعد لحظات، كنت مُكبَّلاً بالأصفاد أمام سيارته. عندما سألته لاحقاً -بخجل، بالتأكيد، فأني طريقة أخرى كانت قد تعرضني للضرب- عن سبب احتجازه لي، قال بأن تحيتي له قد أثارت الشبهة لديه. فقال مُوضّحاً "لا أحد يلوح للشرطة" عندما أخبرت أصدقائي عن رد فعله، كان تصرفي هو ما وجدوه غير معقولٍ وليس تصرفه. قال لي أحدهم "لماذا قد تفعل أمراً أحمقاً كهذا؟". "أنت أذكى من أن تتعامل مع الشرطة".

بعد عدة أيام من ذهابي في زيارة إلى كنغستون، اجتاح إعصار كاترينا مدينة نيو أورلينز مُسبباً الدمار. لم أكن قد غادرت بسبب العاصفة ولكن لأن جدتي

بالتبني بيرل كانت تحتضر بسبب السرطان. لم أكن قد تجولت في هذه الشوارع لثمان سنوات منذ زيارتي الأخيرة، والآن عدت إليهم خاصة في الليل، الوقت الذي وجدت أنه الأفضل للتفكير والصلاة والبكاء. مشيت لأشعر بغربة أقل -عن نفسي، وأنا أصارع ألم رؤية جدتي تحتضر من المرض، وعن منزلي في نيو أورلينز، وهو خرب تحت المياه ومهجور على ما يبدو، وعن موطني الذي يبدو الآن غريباً بالنسبة لي، خاصة بسبب حميمته الطفولية.

كنت مندهشاً، كم بدت تلك الشوارع مألوفة. هنا الزاوية التي كان يرتطم فيها أنفي برائحة طبق جيرك شيكن الجمايكي، وأنا أستمع للحديث الدافئ ورسالة السلام والحب من إذاعة "Greetings" لهالف بينت من مكبر صوت صغير لكن قوي من على مسافة نصف ميل على الأقل. وهنا كان حائط متجر الجي، مزداناً باللوان الديانة الرستفارية* الأحمر، الذهبي، الأخضر

هذه التحذيرات حسنة النية. فالمدينة بانتظار أن تُستكشف. ظننت أن مجرمي أمريكا هؤلاء لا شيء مقارنة بمجرمي كنغستون. إنهم لا يشكلون تهديداً حقيقياً لي. لكن الأمر الذي لم يُحطني به أحد علماً هو أن يتم إعتباري أنا كمصدر تهديد.

بمرور الأيام لاحظت أن العديد من الناس في الشارع بدوا خائفين مني: رمقني بعضهم بنظرة حذرة عندما اقتربوا وعبروا الشارع، بينما تجاوزني آخرون وهم يلحقون بنظراتهم عليّ من الخلف، يتحققون من وجودي ثم يسرعون مبتعدين، فتتشبث النساء البيضاوات المسنات بحقائهن، بينما يلقي رجال بيض التحية بتوتر بالغ، كأن تبادل التحية لسلامتهم: كيف الحال يا صاح؟

في إحدى المرات بعد أقل من شهر على وصولي، حاولت مساعدة رجل علقت عجلة كرسيه في منتصف معبر المشاة فهدد بإطلاق النار على رأسي ثم طلب من أحد المشاة البيض

المساعدة. لم أكن مستعداً لأي من هذا. كنت قد قدمت من مجتمع ذي أغلبية سوداء حيث لم يكن أحد قلقاً مني بسبب لون بشرتي. أما الآن لم أكن متأكداً ممن يخاف مني. لم أكن مستعداً للشرطة بشكل خاص. كانوا يوقفونني عادةً ويُعرضونني للمضايقات، طارحين أسئلة

لم أكن مستعداً لأي من هذا. كنت قد قدمت من مجتمع ذي أغلبية سوداء حيث لم يكن أحد قلقاً مني بسبب لون بشرتي. أما الآن لم أعد متأكداً ممن يخاف مني.

عدت إدانتي أمراً مسلماً به. لم أخطأ أبداً بما يطلق عليه العديد من أصدقائي الأمريكيين الأفارقة "المحادثة": فلم يُوجَّهني والذي حول كيفية التصرف في حال أوقفت من قبل الشرطة، كيف أكون مُؤدِّباً ومُتعاوناً إلى أقصى قدر ممكن، بغض النظر عما يقولون أو يفعلون بي. لذا تحتم عليّ ارتجال قوانيني بنفسي، كإبراز لهجتي الجمايكية. ذكر جامعتي بسرعة وإظهار بطاقة هوية الكلية "بالصدفة" عندما يطلبون رخصة القيادة خاصة.

في هذه المدينة ذات الشوارع الضخمة، أصبح المشي عبارة عن مفاوضة معقدة ومرهقة عادة. كأن أرى امرأة بيضاء تمشي باتجاهي في الليل فأعبر الشارع لطمانتها. أو أكون قد نسيت شيئاً ما في المنزل لكني لا ألتفت فوراً إن كان هنالك شخصاً ما ورائي، لأنني اكتشفت أن الرجوع إلى الخلف بسرعة قد يعني التسبب بحالة ذعر. (كان لدي قاعدة أساسية: حافظ على مسافة آمنة

لم يقنعني هذا: أردت أن أكون في مكان حيث يمكنني أن أتجول على قدمي، بشكل دقيق أكثر، مواصلة الاستمتاع بسلوان المشي ليلاً. وكنت مُتحمساً لاتباع الخطى التي سارها الكتاب والشعراء والروائيون وهم يتجولون في المدينة قُبلي - والت وايتمان، هيرمان ميلفيلي، ألفريد كازين، إيليزابيث هاردويك. كنتُ قد زُرت المدينة من قبل، لكن في كل رحلة كنت أشعر كما لو أنها جولة في سيارة رياضية. رحبت بفرصة التجوال. أردت أن أمشي إلى جانب طيف وايتمان و"أنزل إلى الأرصفة، أتحد مع الزحام، وأحدق معهم." فغادرت كنغستون، وأصداً عبارات الوداع الجمالية تتردد على مسامعي: "تمتع بمشيك" "رافقتك السلامة في رحلتك"، بعبارة أخرى، حظاً موفقاً في مساعي.

وصلت إلى مدينة نيويورك، وأنا على أهبة الإستعداد لأنسى نفسي وسط "حشود مانهاتن وجوقتهم الموسيقية المشاغبة!" أسرتني مشاهد المدينة. مشيت نحو وسط المدينة وناطحات السحاب في الشوارع تطلق طاقتها مثل الأشخاص الحيويين في الشوارع، ثم تقدمت نحو الجانب الغربي العلوي حيث بنايات (بوزاغ - Beaux Arts) السكنية الفخمة، السكان المتأنقون، والشوارع الصاخبة. قُدماً نحو مرتفعات واشنطن، فاضت الأرصفة بأفواج مندفعة من السكان اليهود والدومينيكان الأمريكيين، مروراً بانوود "Inwood" المورقة، حيث الحدائق التي ارتقى مستواها ليكشف عن جمال مشاهد نهر هودسون، حتى بيتي في كنغسبريدج في بلدة برونكس، والبنائات السكنية القريبة من الأرصفة الصاخبة لهرودوي فضلاً عن الرقعة الفسيحة لحديقة فان كورتلاندت.

ذهبت إلى مرتفعات جاكسون في كوينز لرؤية الناس الذين يتواصلون حول ساحات الحدائق بالأردية، الكورية، الإسبانية، الروسية، والهندية. وعندما أردت أن أشعر أنني في وطني، توجهت إلى بروكلين في كراون هايتس لتناول الطعام والاستمتاع بالموسيقى الجاميكية والفكاهة الممزوجة بنكهة مدينة نيويورك. كانت المدينة ساحة اللعب خاصتي. لقد استكشفت المدينة مع الأصدقاء، ثم مع امرأة كنت قد بدأت مواعدها. كانت تتجول معي بلا هودة، مستمتعة بملذات مدينة نيويورك الوافرة. تفتّح

مع صور لأبطال محليين وعالميين مثل بوب مارلي، ماركوس كارفي، هايلي سيلاسي. مجموعة من الأولاد يتكئون عليه ويتبادلون الضحكات والسخرية، وجوه مختلفة، قصص متشابهة. كما اندهشت من إحساس الأمان الذي مدّني به تلك الشوارع، مُجدداً، شخص أسود وسط العديد من السود، لم تعد هناك حاجة لتوقع الطرق العديدة التي يمكن أن يثير فيها حضوري الخوف أو أن أقوم بإيذاءات جسدية مُطمئنة. مرور سيارات الشرطة كان مجرد أمر عادي مجدداً. قد تكون الشرطة الجمالية عنيفة، لكن لم يكونوا يتخوفون مني مثل الشرطة الأمريكية. يمكنني أن أكون غير مرئي في جمايكا بطريقة لا يمكن أن أكونها في الولايات المتحدة. أعاد المشي إلى إمكانات أعظم. ولم المشي؟ إن لم يكن لخلق إمكانات جديدة؟ باتباع السرندبية (اكتشاف الأشياء بالصدفة، دون تخطيط) *أضفت طرقاً جديدة لخرائطي الذهنية التي رسمتها من المشي الدائم في تلك المدينة من الطفولة وحتى بلوغ سن الشباب، راسماً التغييرات التي طرأت على المسارات القديمة.

أخبرني مرشد ذات مرة أن السرندبية هي طريقة لادينية لوصف النعمة، هي نعمة غير مستحقة. إذاً من وجهة نظر لاهوتية فإن المشي فعلٌ إيماني. المشي بعد كل هذا هو سقوط متقطع. نرى، نسمع، نتحدث، نثق بأن كل خطوة نخطوها لن تكون الأخيرة، لكنها ستقودنا إلى فهم أعمق لأنفسنا والعالم.

في جمايكا، شعرت مجدداً بأن الهوية الوحيدة التي تهمني كانت هويتي أنا، وليس الهوية التي قيدني بها الآخرون. تجولت داخل نفسي الأفضل. قلت -كما قال كيركيغارد- "لقد سرتُ بنفسي نحو أفضل أفكار".

عندما حاولت العودة إلى نيو أورلينز من جمايكا بعد شهر، لم يكن هنالك رحلات جوية. فكرت بالطيران إلى تكساس حتى أتمكن من العودة إلى حيي حالما يعاد فتحه للسكن، لكن عمّتي بالتبني، ماكسين، لم تعجها فكرة عودتي إلى منطقة الإعصار قبل نهاية موسم الإعصار، أقنعتني بالبقاء في نيويورك بدلاً من ذلك. (ولتقوية موقفها أرسلت لي مقالة حول مواطنين من تكساس كانوا يتنازعون الأسلحة لأنهم كانوا خائفين من تدفق للسود من نيو أورلينز).

إلى مترو الأنفاق في كولومبوس سيركل - كنت سأتأخر عن مقابلة مجموعة أخرى من الأصدقاء في حفلة موسيقية وسط المدينة. سمعت أحدهم يصرخ ونظرت لأرى ضابط شرطة يقترب بمسدسه موجها إياه نحو "مقابل السيارة!" في لمح البصر، كان ستة من رجال الشرطة على جانبي، وهم يرموني على السيارة ويُقيدوني بشدة. "لماذا كنت تركض؟" "إلى أين تذهب؟" "من أين أتيت؟" "قلت، لماذا كنت تركض؟!" نظراً لأنني لم أستطع الرد على الجميع دفعة واحدة، فقد قررت الرد أولاً على الشخص الذي يبدو أنه من المحتمل أن يضربني. كنت محاطاً بسربٍ وحاولت التركيز على واحد فقط دون زيادة حدة الآخرين عن غير قصد.

لم يفلح الأمر! عندما أجبت على ذلك السؤال، شعرا الآخرون بالإحباط لأنني لم أجب عليهم بالسرعة الكافية وصرخوا في وجهي. سأل أحدهم سؤالاً كان أقرب ما يكون لإتهام وهو يُفتش جيوبي التي أفرغت بالفعل، ما إذا كانت لدي أية أسلحة. وآخر ظل يسألني من أين أتيت وكأنني سأخبره بالإجابة التي يبحث عنها بعد طرح السؤال للمرة الخامسة عشرة. على الرغم من أنني ظلت أقول -بهدهوء بالطبع، مما يعني محاولة إدارة نغمة تتجاهل دقات قلبي المتسارعة وصرახهم المليء بالبصاق في وجهي-

**"بالنسبة لرجل أسود، أن تدافع
عن كرامتك أمام الشرطة، يعني أن
تخاطر بتعريض نفسك للإعتداء"**

إنني تركت الأصدقاء على بعد مبنيين من الطريق، والذين كانوا جميعاً لا يزالون هناك ويمكنهم أن يشهدوا لي، لمقابلة الأصدقاء الآخرين الذين يمكن لرسائلهم النصية على هاتفي إثبات ذلك، نعم، سيدي، نعم، نعم أيها الضابط، بالطبع، نعم، لم يحدث فرق. بالنسبة لرجل أسود، أن تدافع عن كرامتك أمام الشرطة، يعني أن تخاطر بتعريض نفسك للإعتداء. في الواقع، كانت كرامة السود تعني لهم أقل، وهذا هو السبب في أنني شعرت دائماً بأنني أكثر أماناً حين يتم إيقافني أمام الشهود البيض من الشهود السود. كان رجال الشرطة يعطون أهمية أقل لشهود وتوسلات المتفرجين السود، في حين أن قلق الشهود البيض عادة ما تكون مسجلة عليهم. الشاهد الأسود الذي يطرح سؤالاً أو يثير اعتراضاً بأدب يمكن أن يصبح زميلاً للمعتقل بسرعة. إذن، الإحترام للشرطة هو شرط لا بد منه للقاء آمن.

المقاهي حتى الفجر، حدائق خضراء بأركان وفيرة، طعام وموسيقى من جميع أنحاء العالم، الأحياء الغريبة مع سكانها الأكثر غرابة. تجسدت انطباعاتي عن المدينة أثناء المشي معها. كما هو الحال مع العلاقة، كانت الأشهر القليلة الأولى من الاستكشاف العمراني كلها رومانسية. كانت المدينة مخادعة ومبهجة وناضجة بالحياة. لكن لم يمض وقت طويل قبل أن يذكرني الواقع بأنني لم أكن مُحصّناً من الخطر، خاصة عندما تَسَكَّعت بمفردي.

في إحدى الليالي في القرية الشرقية، كنت أركض لتناول العشاء عندما استدار رجل أبيض أمامي ولكمني بقوة على صدري حتى اعتقدت أن أضلاعي قد ضُفرت حول عمودي الفقري. ظننت أنه كان مخموراً أو أخطأ وظن أنني عدو قديم له، ولكن اكتشفت بعد لحظات أنه افترض أنني مجرم بسبب لون بشرتي. عندما اكتشف أنني لم أكن ما تصوره، قال لي أن اعتدائه كان خطئي لأنني كنت أركض خلفه. لقد تجاهلت هذا الحادث ظناً مني أنه كان عملاً بلطجياً، لكن كان من المستحيل

تجاهل انعدام الثقة المتبادل بيني وبين الشرطة. شعرت بالعنصرية. سأدخل منصة مترو الأنفاق، سألاحظهم، (وسألاحظ جميع الرجال السود الآخرين يسجلون حضورهم أيضاً، بينما يظل

الجميع غافلين عنهم). سوف يحملون وسأشعر بالتوتر والوهلة، سوف يراقبونني بثبات وسأشعر بعدم الارتياح. سوف أراقبهم مرة أخرى، قلقاً من أنني بدت مشبوها، سوف تزيد شكوكهم. سنواصل الحوار الصامت وغير المستقر حتى يصل مترو الأنفاق وننفصل في النهاية.

عدت إلى القواعد القديمة التي كنت قد وضعتها لنفسي في نيو أورلينز مع بعض التغييرات. الركض ممنوع (وخاصة في الليل)، لا حركات مفاجئة، لا قلنسوات (هوديز)، لا أشياء -لا سيما الأشياء اللامعة- في متناول اليد، عدم انتظار الأصدقاء في زوايا الشوارع حتى لا يُظن بي أنني تاجر مخدرات، لا وقوف بالقرب من زاوية على الهاتف الخليوي (نفس السبب). عندما بدأت أشعر بالراحة، بدأت حتماً في كسر بعض تلك القواعد، أعادني صدام حماسي إليهم، بعد أن علمت أن أي شيء أقل من الحذر كان إهمالاً.

بعد عشاء إيطالي فخم ومشروبات مع الأصدقاء، كنت أركض

قصوى. في بعض الأحيان عندما أسأم من اعتباري شخصا مثيرا للشغب عندما تتم ملاحظتي، أطلق نكتة بأنه في المرة الأخيرة التي كان فيها شرطي سعيداً برؤية رجل أسود يمشي كان ذلك عندما كان ذلك الأسود طفلاً يخطو خطواته الأولى. في العديد من المسيرات، أطلب من أصدقائي البيض أن يرافقوني، فقط لتجنب معاملي كتهديد يمشي في مدينة نيويورك، هذا هو؛ في نيو أورليانز، تجذب امرأة بيضاء في رفقتي في بعض الأحيان المزيد من العدا. (ولم يغيب عني أن أصدقائي الإناث هن اللاتي يفهمن محنتي على أفضل وجه؛ لقد طوّرن يقظتهن الخاصة في بيئة يتم معاملتهن فيها باستمرار كأهداف للاهتمام الجنسي). الكثير من المشي هو كما وصفته صديقتي ربيكا ذات مرة: مسرحية بانتوميم* تهدف إلى تجنب تصميم الرقصات الإجرامية.

إن المشي وأنت أسود البشرة يُقيد تجربة المشي، ويجعل من الصعب الوصول إلى التجربة الرومانسية الكلاسيكية للمشي وحده. يجبرني على أن أكون في علاقة مستمرة مع الآخرين، غير قادر على الانضمام إلى طيور متسكعي نيويورك الذين قرأت عنهم ولطالما تمنيت الانضمام إليهم. بدلاً من التسكع بلا هدف على خطى ويتمان، ميلفيل، كازين، وفيفيان جورنيك، شعرت في كثير من الأحيان أنني كنت أسير في تلميح بالدوين - بالدوين الذي كتب في عام 1960، "في الواقع، نادراً، هو مواطن هارلم، من أكثر أعضاء الكنيسة حذراً إلى أكثر المراهقين كسلاً، الذين ليس لديهم حكاية طويلة لتخبرهم عن عدم كفاءة، ظلم، أو وحشية الشرطة. لقد شاهدت ذلك بنفسني وتحملت أكثر من مرة".

إن المشي كرجل أسود جعلني أشعر في وقت واحد بأنني مبعّد أكثر عن المدينة، مدركاً بأنه يُنظر إلى كمشتبه به، وأكثر ارتباطاً به، في الانتباه الكامل الذي تتطلبه يقظتي. لقد جعلني أمشي بشكل هادف في المدينة، وأصبح جزءاً من تدفقها، بدلاً من المراقبة والوقوف بشكل منفصل. لكن هذا يعني أيضاً أنني ما زلت أحاول الوصول إلى مدينة ليست

تجاهل رجال الشرطة شروحاتي واقتراحاتي واستمروا في الصراخ في وجهي. كلهم باستثناء واحد منهم، ولقد كان الكابتن. وضع يده على ظهري، وقال لأحد رجاله: "لو كان يركض لفترة طويلة لكان سيتعرق." ثم أمر بإزالة الأصفاد. قال لي أن رجلاً أسود قام بطعن شخص على بعد مئتين أو ثلاث مبانٍ وكانوا يبحثون عنه. شعرت أن الدماء قد جفت في عروقي، وأخبرت زملاءه الضباط بمكان تواجدي وكيفية التحقق من دليل براءتي - لم أكن أعلم أنه دليل براءة، حيث لم يخبرني أحد عن سبب القبض علي، وبالطبع، لم أجروا على السؤال. مما رأيته، فإن أي شيء يتجاوز الانفعال يفسر على أنه عدوان.

قال الكابتن إنني أستطيع الذهاب. لم يرَ أي من رجال الشرطة الذين احتجزوني أن الاعتذار كان ضرورياً. مثل البلطجي الذي لكمني في القرية الشرقية، بدا أنهم يعتقدون أن ذلك كان خطئي في الجري.

لقد تعرضت للإذلال، وحاولت عدم إجراء اتصال بصري مع المتفجّرين على الرصيف، وكُنْتُ متردداً حول المرور من طريقهم. عرض الكابتن علي أن يوصلني إلى محطة مترو الأنفاق، فربما قد لاحظ شعوري بالخزي. عندما أنزلني وشكرته على مساعدته قال، "تركناك تذهب لأنك كنت مهذبا، لو أسأت التصرف لكان الأمر مختلفاً". أومأت برأسي ولم أقل شيئاً. أدركت أن أقل شيء أعجبني في المشي في مدينة نيويورك لم يكن مجرد معرفة قواعد التجول والتنشئة الاجتماعية الجديدة - لكل مدينة خصوصياتها. لقد كانت إعتباطية الظروف هي التي جعلتني أشعر بأنني طفل مرة أخرى، إعتباطية جعلتني أشعر بالرضا. عندما نتعلم المشي لأول مرة، يُهدّدنا العالم من حولنا بالإصطدام بنا. كل خطوة محفوفة بالمخاطر. نحن ندرّب أنفسنا على المشي دون الإصطدام من خلال الانتباه إلى تحركاتنا، والانتباه إلى العالم من حولنا. كبالغين نسير بدون تفكير. ولكن كشخص بالغ، غالباً ما أعود إلى تلك اللحظة من طفولتي حين كنت أتعلم المشي. أنا مرة أخرى في حالة يقظة وتأهب





هوامش:

–توم سوير: شخصيةً خياليةً في مسلسل الرسوم المتحركة الذي يحمل اسمه. صبيٌّ يعيشُ برفقة أصدقائه طفولةً تملؤها الشقاوة والمرح والأحلام الوردية.

–ساسكواتش: بيغ فوت أو ذو القدم الكبيرة هو الاسم الذي يطلق على كائن مجهول يشبه القرد، ويقال أنه يسكن الغابات في شمال غرب المحيط الهادئ. وعادة ما يوصف بيغ فوت في فلكلور أمريكا الشمالية على أنه كائن شبه بشري كبير ومشعرويمشي على قدمين. أتى مصطلح ساسكواتش من كلمة sásq'ets من لغة هالكوميليم.

–الرستافارية، راستا، أو الحركة الرستافارية، (بالإنجليزية: Rastafari movement) هي الديانة التي تقبل الإمبراطور هيلا سيلاسي الأول، الإمبراطور السابق لأثيوبيا، كتجسيد للرب والذي يطلقون عليه اسم جاه (بالإنجليزية: Jah). كما يراه متبعو تلك الديانة كجزء من الثالوث المقدس بوصفه المسيح المذكور في الإنجيل.

–السرندبية: تعني "حادث سعيد" أو "مفاجأة سارة"، عند العثور على شيء جيد أو مفيد دون قصد. وقد تم التصويت على هذه الكلمة باعتبارها واحدة من أصعب عشر كلمات في الإنجليزية يصعب ترجمتها في حزيران / يونيو 2004 من قبل شركة بريطانية للترجمة.

–بانتونيم (فن الحركات الإيحائية): هونوع من فن التمثيل الصامت المؤدى من قبل فنان أو مجموعة فنانين على خشبة المسرح، بغرض التعبير عن الأفكار والمشاعر والأراء عن طريق الحركة الإيحائية للجسم فقط

ملكي تمامًا. أحد تعريفات الوطن هو مكان يمكن أن نكون فيه أنفسنا. والمشي هو أكثر الحالات التي نكون فيها أنفسنا، تلك الحالة الطبيعية التي نكرر فيها إحدى أولى الأشياء التي تعلمناها! المشي – الفعل البسيط الرتيب بوضع قدم قبل الأخرى لمنع السقوط – تبين أنه ليس بهذه البساطة إذا كنت أسودًا. المشي بمفردي لم يكن فعالاً رتيباً بالنسبة لي؛ الرتابة صفة فخمة. قدم ترتفع، قدم تهبط، ويمنحنا شوقنا زخماً من الراحة إلى الراحة. نتطلع إلى النظر والتفكير والتحدث والابتعاد. ولكن، نتوق إلى أن نكون أحراراً أكثر من أي شيء آخر. نريد حرية ومنتعة المشي بدون خوف - بدون خوف الآخرين - أينما نختار.

لقد عشت في مدينة نيويورك منذ ما يقرب عقد من الزمان ولم أتوقف عن المشي في شوارعها الرائعة. ولم أتوقف عن الشوق لأجد العزاء الذي وجدته عندما كنت طفلاً في شوارع كينغستون. كما أن التعرف على شوارع مدينة نيويورك جعلني أقرب إلى الوطن، فإن المدينة تحجب نفسها عني عبر تلك الشوارع. أمشيم، بتناوب غير مرئي وبارز للغاية. لذلك أمشي بين الذاكرة والنسيان، بين الذاكرة والغفران.



التاريخ العنصري للجمعية العلمية ماكس بلانك.

إعداد: حماد بن عيسى
تدقيق لغوي: بشرى بوخالفي

عزز مكانة ألمانيا في التاريخ العلمي الحديث. قام ألبرت أينشتاين ببعض أبحاثه في أحد معاهدها، كما فعل عابرة آخرون في ذلك الوقت. ولكن في وقت لاحق، عندما تولى النازيون السلطة وبدأوا في تحريك أولوياتهم العلمية الخاصة، اتخذت الأمور منعطفًا خطيرًا.

كل ما حدث تم نسيانه بهدوء بعد الحرب العالمية الثانية، على الرغم من أنه كانت هناك دائمًا شائعات. كان الباحثون يشاركون في عمليات علمية في ظل الرايخ الثالث، كما تشير الهمسات وربما كانوا طرفًا في القتل والتعذيب. لا بد أنهم كانوا كذلك. في ظل النظام النازي لاحظ الكاتب جيمس هاوز (James Hawes) أن نصف الأطباء في ألمانيا كانوا أعضاء في الحزب النازي. لمدة عقد من الزمن علمت الجامعات الألمانية النظرية العنصرية.

كانت هناك بلا شك قصة يجب الكشف عنها، ولكن كان من الحكمة تركها. من خلال اعتراف جمعية ماكس بلانك نفسها، كان هناك تقليد للتستر على ماضيها المخزي لصالح الاحتفال بإنجازاتها العلمية الأكبر. بحلول التسعينات، كان هناك ضغط كبير من الجمهور عدم التجاهر بعد الآن. وعلى أي حال، فإن كبار السن من الموظفين الذين كانوا على قيد الحياة خلال الحرب – الذين قد يتأثرون بمثل هذا الكشف – قد ماتوا تقريبًا. لقد حان الوقت. لذا قرر العالم هوبرت ماركل رفع الغطاء وعين لجنة مستقلة للتحقيق فيما كان العلماء الألمان في جمعية القيصر فيلهلم قد تورطوا.

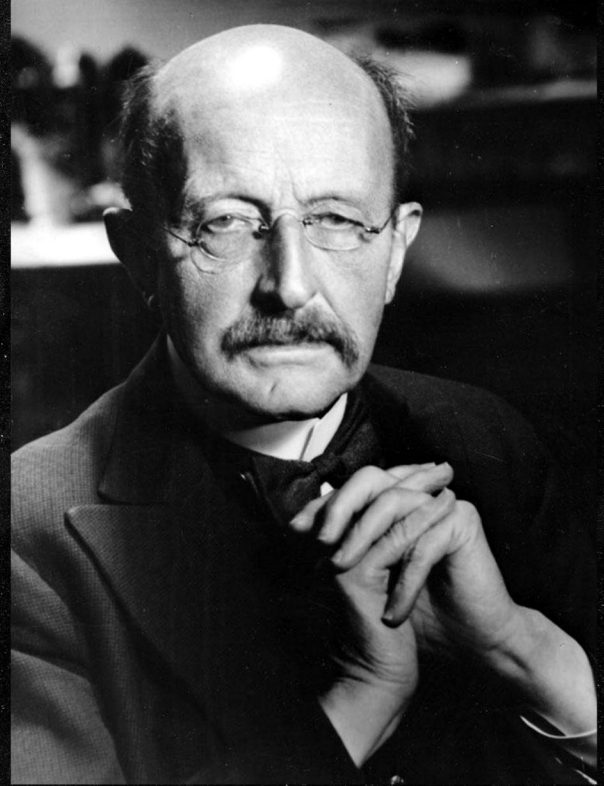
النظر في أعماق زوايا علم العرق:

كان من الواضح بالفعل أن الشخصيات من داخل العلم والأوساط الأكاديمية يجب أن تكون لعبت دورًا في تطوير أيديولوجية أدولف هتلر للنظافة العرقية (racial hygiene) التي جادلت بأنه يجب تشجيع السلالة العرقية النقية "الآرية" على التكاثر، بينما تم التخلص من الآخرين تدريجيًا – الأيديولوجية التي بلغت ذروتها في المحرقة. بعد فوات الأوان، لم يكن من الممكن القيام به لولا العلماء سواء لتوفير الإطار النظري لمثل هذه التجربة الجريئة والقيام بالعمل نفسه.

من الناحية العملية، كان هناك أولئك الذين يقيمون معسكرات اعتقال وغرف غاز بالإضافة إلى تحديد من يجب أن يموت. ثم كانت هناك كل التجارب البشرية المروعة التي تم إجراؤها على الأشخاص الذين قتلوا في نهاية المطاف،

جمعية ماكس بلانك، ومقرها الإداري في ميونيخ بألمانيا لها تاريخ لامع. لقد أنتجت ثمانية عشر فائزًا بجائزة نوبل، بما في ذلك الفيزيائي النظري ماكس بلانك (1858 – 1947) التي سميت باسمه عام 1948. توظف معاهدها أكثر من 14000 عالم، وتبلغ ميزانيتها السنوية 1.8 مليار يورو، وتنتج أكثر من 15000 ورقة علمية منشورة سنويًا.

بكل المقاييس، إنها واحدة من أرق المنظمات العلمية في العالم. ولكن في عام 1997، اتخذ عالم الأحياء هوبرت ماركل (Hubert Markl) الذي كان آنذاك رئيسًا للجمعية حتى عام 2002 قرارًا يهدد سمعة مؤسسته بأكملها. أراد أن يكشف تاريخ الجمعية المجيد ليكشف عن سر مخبأ منذ خمسين عامًا.

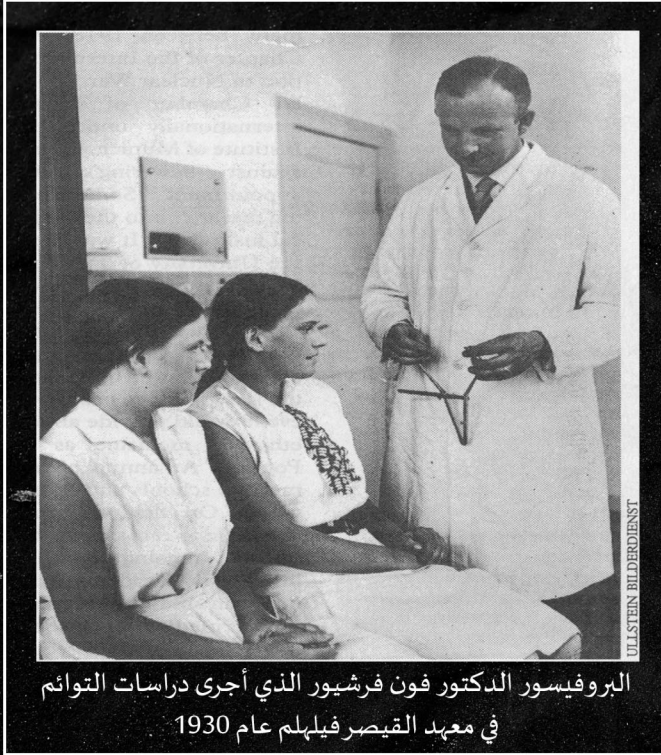


صورة العالم ماكس بلانك في ثلاثينيات القرن الماضي

صنع الماضي من الأحداث التي نختار أن نتذكرها:

قبل عام 1948 كانت جمعية ماكس بلانك موجودة باسم سابق، وهو جمعية القيصر فيلهلم (Kaiser Wilhelm Society) لترقية العلوم. تأسست في الإمبراطورية الألمانية عام 1911 وكانت في ذلك الوقت مهمة مثل جمعية ماكس بلانك الآن، مما

مما أضاف الشرعية على سياسات النظام العرقية. أصبح أحد طلابه السابقين الطبيب جوزيف منغيل (Josef Mengele)، سيء السمعة بسبب تجاربه القاسية على التوائم والنساء الحوامل في محتشد أوشفيتز (Auschwitz) الذي ضم أكثر من 40 معسكر للإبادة.



البروفيسور الدكتور فون فرشيور الذي أجرى دراسات التوائم في معهد القيصر فيلهلم عام 1930

وثق الكاتب البريطاني ماريك كون في المعرض العرقي The Race Gallery عام 1995 أنه من بين العينات التي أرسلها فون فرشيور إليه من أوشفيتز كانت "أزواج عيون من توأمان... الأعضاء الداخلية للأطفال والجثث والهياكل العظمية لليهود المقتولين".

اعتراف جمعية ماكس بلانك بجرائم عنصرية:

في عام 2001 اعترفت الجمعية بالجرائم التاريخية التي ارتكها علماءها. واعترفت الجمعية عبر اعتذارها "من الأمن اليوم أن نقول أن فون فرشيور كان على علم بالجرائم المرتكبة في أوشفيتز". وأضاف ماركل في خطابه: "إن جمعية القيصر فيلهلم تساهلت أو حتى دعمت بحوثاً لا يمكن تبريرها على أي أسس أخلاقية أو أخلاقية... أود أن أعتذر عن معاناة ضحايا هذه الجرائم -القتلى والناجين- التي تمت باسم العلم". بالطبع جاء هذا الاعتذار متأخراً جداً للعدالة، وقد مات

والحصول على بيانات بيولوجية. قلق الباحثون الأصغر سناً في جمعية ماكس بلانك من أن ما ورثوه من العمل العلمي قد يكون ملطخ بالدم. كانوا على محقين. تبين أن الماضي كان يقطر بالدم. في غضون بضع سنوات من إطلاق العالم هوبرت ماركل التحقيق، بدأ المؤرخون في نشر نتائجهم، وكانت مدمرة. افترض البعض أن النازيين يجهلون العلم أو معادون له. أثبتت الأبحاث التاريخية أن هذا لم يكن صحيحاً.

تعاون علماء جمعية القيصر فيلهلم طوعية مع الدولة النازية، وللجمع بين المصالح الأكاديمية والنفعية السياسية، مما ساعد على تأمين الدعم المالي والمكانة الاجتماعية لأنفسهم. كتب أحد المراجعين: "إن هذا البحث لم يبنِ حرفياً على غنائم الحرب فحسب، بل قاد العلماء أيضاً إلى عمق الهابية من الجرائم النازية". حيث ساعد عالم بارز واحد على الأقل في صياغة ونشر التشريع حول الأيديولوجية العنصرية.

غالباً ما كان أولئك الذين لم يكونوا انتهازيين متواطئين، ويبدون اللامبالاة الأخلاقية حتى عندما رأوا أعمالاً غير إنسانية أو إجرامية تحدث أمامهم مباشرة. عندما بدأت التحركات في عام 1933 لطرد العلماء اليهود من جمعية القيصر فيلهلم (تخلى أينشتاين عن ألمانيا في نفس العام، غادر لحضور مؤتمر ولم يعد أبداً)، بذل الموظفون القليل من الجهد للوقوف في وجه العنصرية باسم العلم. انتهى ما لا يقل عن عالمين وموظفين من الجمعية بالموت في معسكرات الاعتقال.

علماء من جمعية القيصر فيلهلم مخلصين للنازية:

كان هناك علماء دعموا النازيين بكل إخلاص من البداية. إن عمل فون فرشيور (Otmar von Verschuer)، رئيس قسم في أحد معاهد جمعية القيصر فيلهلم، يجعل اطلاعنا على الوقائع مخيف. حتى الحرب كان فون فرشيور أكاديمياً محترماً على نطاق واسع حصل على تمويل بحثه لبضع سنوات من قبل مؤسسة روكفلر في نيويورك عن التوائم كوسيلة لفهم الميراث الجيني. وقد تمت دعوته للتحديث في الجمعية الملكية بلندن. ولكنه اتضح أيضاً كان معادياً للسامية أشاد علناً بهتلر وآمن بالحل البيولوجي معتبراً اليهود تهديداً للنقاء العرقي. وفقاً لعالم الأنثروبولوجيا الأمريكي روبرت سوسمان (Robert Wald 1941 – 2016) (Sussman)، أصبح فون فرشيور أحد خبراء العرق النازيين عندما يتعلق الأمر بمعالجة "المسألة اليهودية"،

الآن، بعد عقود لا تزال أهوال الحرب العالمية الثانية لها تأثير تشوه على كيفية تفكيرنا في علم العرق. يختار الكثيرون منا تذكر العلماء النازيين مثل فون فرشيور كنوع من الاستثناءات الشريرة الفريدة، لا شيء مثل العلماء الذين وجدوا أنفسهم في الجانب الفائز من الحرب. يعتقد أن المحرقة والأساس المنطقي العلمي الملتوي وراءها ينتميان إلى ذلك الزمان والمكان وحدهما، لأنهما من عمل "الأشرار". ولكن كان هناك سؤال واحد لم تتم الإجابة عليه بعد التحقيقات في التاريخ الملطخ بالدم لجمعية ماكس بلانك: هل كان العلماء في بقية العالم أقل لومًا؟

إن تعريف ما حدث أثناء الحرب بأنه عمل منحرف -كعمل كان يمكن أن يفعله فقط أسوأ الناس في أسوأ الظروف- يتجاهل الحقيقة الأكبر. لم تكن هذه أبداً قصة بسيطة عن الخير ضد الشر. إن بئر الأفكار العلمية التي رسم منها هتلر وآخرون في نظامه خططهم لـ "النظافة العرقية"، التي أدت في النهاية إلى الإبادة الجماعية، لم تنشأ في ألمانيا وحدها. لقد تم دعمهم بشكل متزايد من قبل علماء العرق والمثقفين المحترمين والأرستقراطيين والقادة السياسيين والأثرياء لأكثر من قرن من جميع أنحاء العالم.

المتورطون. ما كان لافتاً هو أن الأمر استغرق وقتاً طويلاً لاقتلاع حقائق ما حدث في ذلك الوقت، أو حتى لإيجاد الإرادة للقيام بذلك. من الواضح أن العلماء المتواطئين مع النظام النازي كانوا ماهرين في تغطية آثارهم. ولكن ربما كان من الأسهل على زملائهم أن يتظاهروا بأن العلماء الآخرين لم يكن من الممكن أن يكونوا مشاركين نشطين في القتل والتعذيب. ربما تخيلوا أنهم مجرد متفرجين، عالقين في الفوضى أثناء محاولتهم القيام بعملهم.

العلماء بين حياد العلم والعنصرية:

الحقيقة - أنه من الممكن تمامًا أن يكون العلماء البارزون عنصريين وأن يقتلوا ويسبوا إلى الناس والمعرفة- لا تتوافق بسهولة مع الطريقة التي نحب أن نفكر بها في البحث العلمي. نتخيل أن العلم فوق السياسة وأنه مسعى نبيل وعقلاني وموضوعي، غير ملوث بالمشاعر أو التحيز. ولكن إذا كان العلم دائماً بريئاً جداً، فكيف يمكن لأعضاء مثل هذه المنظمة العلمية الكبيرة والمرموقة أن يبيعوا أنفسهم لنظام سياسي قاتل في منتصف القرن العشرين مؤخرًا؟

الجواب بسيط: فالعلم يتشكل دائماً بحسب الوقت والمكان الذي يتم فيه. وفي النهاية يكون تحت رحمة المعتقدات السياسية الشخصية لمن يقومون به. في حالة بعض العلماء النازيين، ربما تم إجراء تجارب معينة بدقة ودقة تامة. ربما يكونون قد أنتجوا علماً جيداً، إذا تم قياس كمية الخير في البيانات العلمية وليس في حياة الإنسان. في أحيان أخرى لم يهتم الباحثون بالحقيقة أو بحياة الآخرين. واختاروا بدلاً من ذلك إعطاء وهم الوزن الفكري لأيديولوجية مفلسة أخلاقياً لأنها تناسهم.



فلنتحدّث عن العنصريّة*

البلاك فيس

إعداد: أميرة بوسجيرة ونبال بوسجيرة



انفجرت الولايات المتحدة الأمريكيّة منذ أكثر من ثلاثة أسابيع، ومن بعدها العالم كلّهُ، وهي تسمع أنين الأمريكيّ من أصولٍ إفريقيّة "جورج فلويد" قائلاً: «لا أستطيع التّنفّس».. وانطلقت مظاهرات حاشدة عنيفة في اليوم التّالي كأنّها انتظرت هذه الفرصة طويلاً لتُخرج إلى العلن قبح إنسان الألفيّة الثّالثة الذي لا تزال نفسه تتمرّع في أحوالٍ قذرة من العنصريّة "المنتنة" الخفيّة.



شخصية "جيم كرو" التي أصبحت رمزاً بغضباً لفترة التمييز العنصري في ولايات أمريكا الجنوبية

لعل شخصية "داركي" تعتبر أشهر مثال على البلاك فيس - أعين كبيرة، بشرة سوداء، شفاه بيضاء، وردية أو حمراء مبالغ بها، وأسنان بيضاء ساطعة - فقد صار موضوعاً شائعاً في الترفيه، أدب الأطفال - سامبو الصغير الأسود، الألعاب - بوكيمون -، الكرتون - توم وجيري، بكس باني -، المجوهرات، الأقمشة، البطاقات البريدية وحتى معلبات الطعام.²

اشتهرت عروض البلاك فيس بصفة خاصة في الفترة ما بين نهاية الحرب الأهلية وبداية القرن التالي في المدن الشمالية والغربية الوسطى، أين كان التواصل بين البيض والسود محدوداً. ثمّ نمت عداوة البيض بعد سن قانون منع الاستعباد عندما اصطدمت الصور النمطية لما بعد الحرب مع مطالب الأفروأمريكان بحقوقهم المدنية كاملة، بما في ذلك الحق في التصويت. لا يمكن المبالغة في كمية تأثير العروض المهنية والصور النمطية على المجتمع الأمريكي، فقد قادت وسائل الإعلام الجديدة العروض من المنصة، عبر الراديو والتلفزيون إلى المسرح. كما أن بعض الممثلين الأمريكيين الشعبيين أمثال "شيرلي تمبل"، "جودي غارلند" و"مايكي روني" قاموا بـ"ارتداء" البلاك فيس، جارين العروض المهنية عبر الأجيال، وجاعلين البلاك فيس متعة عائلية.

وبين جموع المحتجّين، ودعوات التظاهر.. بين تدفق التبرعات والدعم المالي، وحملات المساندة على وسائل التواصل الاجتماعي، بدا أن السّداجة الإنسانية ستضع بصمتها هاهنا أيضاً.. وانتشرت على صفحات الانترنت صور لأشخاص صبغوا وجوههم باللون الأسود، لعلهم حاولوا - عن جهلٍ - أن يذكّروا أنفسهم بوحدة الإنسان بكلّ أعراقه وأجناسه، واشترأك في الأحلام والآمال، لكن اتّضح أن الأمر خطير؛ لم يكن عليهم أن يصبغوا وجوههم أبداً.. واتّضح أن هذه الحركة رمزٌ عنصريّ بغض، هو البلاك فيس.

أشار المؤرخ "ديل كوكريل" بأن الطبقة العاملة والفقيرة من البيض والتي أحست بأنها منبوذة سياسياً، اقتصادياً واجتماعياً من طرف الطبقة العليا، وكذا من الطبقة السفلى، اخترعت "العروض المهنية"¹ كطريقة للتعبير عن الظلم الذي تعرضت له كفة من الأغلبية، خارجة عن معايير "البيض العاديين".

تعتبر هذه المسرحيات والتي تعرض "السود" من طرف البيض، وتبالغ في الأزياء ومساحيق الوجه جزءاً من السخرية العرقية والصور النمطية إذ أن تشويه ملامح وثقافة الأفروأمريكيين - بما في ذلك الشكل، اللغة، الرقص، السلوك والشخصية - مكن البيض الأمريكيين من تقنين "البياض" عبر الطبقات الجيوسياسية كنقيض لـ"السود".

عُرضت أولى المسرحيات المهنية في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر في نيويورك من طرف مؤدين بوجوه مسودة (عادة ما استعمل الفلين المحترق أو ملمع الأحذية) وثياب ممزقة وتم تقليد الأفارقة المستبدين في المزارع الجنوبية. شخصت فيها هذه العروض السود ككسلاء، جهلة، مؤمنين بالخرافات، ميالين للسرقة والجبن.

طور "توماس دارتموث رايس" والمعروف "كأب العروض المهنية" أول شخصية "بلاك فيس" معروفة، وهي "جيم كرو" في 1830. بحلول 1845، ولدت شهرة العروض المهنية صناعة ترفيهية فرعية، تصنيع الأغاني، القطع الموسيقية، مساحيق التجميل، الأزياء، بالإضافة إلى مجموعة جاهزة من الصور النمطية لتأليف مسرحيات جديدة.

هضم النكتة سيئة الطعم. لا بدّ أنهم تساءلوا إلى متى سيدوم هذا.

للأسف، يبدو أنّه سيدوم طويلاً.. وأنّ آمالنا في رقيّ حضارتنا سيتوجّب عليها الصبر أكثر، وإلاّ فما معنى أن نشهد إلى الآن إعلانات عنصريّة، ومنتجات موضة من أقنعة تزلج وأحذية وأدوات زينة شبيهة جدّاً بما احتواه متحف جيم كرو من آثار ذلك الزّمن المؤلم³؟

الهوامش:

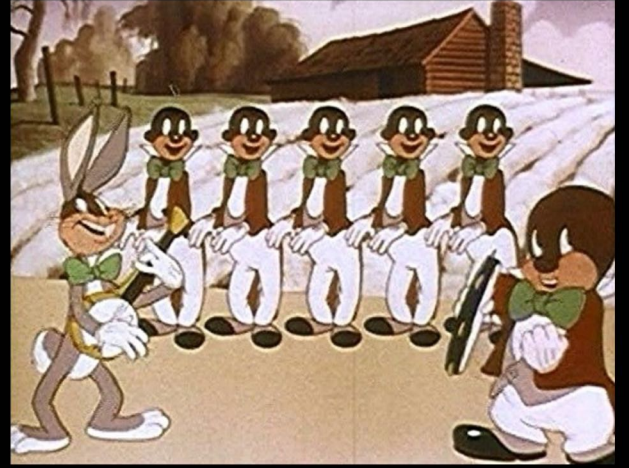
(*) عنوان المقال مستوحى من كتاب ل ليندا دونالد بنفس العنوان، تتحدّث فيه تعليم الأطفال المفاهيم العنصريّة وكيفية التعامل مع كلّ الأعراق بشكل راقٍ وصحيح.

(1)- العروض المهينة، ترجمة مقترحة لكلمة Minstrels وهي عروض مسرحية قصيرة، هزلية، موسيقية غالباً كان يلون فيها الممثلون البيض وجوههم وأجسامهم باللون الأسود ليلعبوا دور سود والذين تم تمثيلهم بصورة أشخاص أغبياء، كسالى، مؤمنين بالخرافات ويحبون الرقص والغناء.

(2) - سنة القرد هي السّنة السّابعة في التقويم الصّينيّ ذي الأساس الاثني عشريّ والذي يعتمد على دورة كلّ من الشّمس والقمر.

(3) - عصر جيم كرو، هي الفترة الممتدّة من 1876 إلى غاية 1965 حين كانت قوانين التّمييز العنصريّ ضدّ السّود مطبّقة في الولايات الجنوبيّة الأمريكيّة تحت حكم الدّيمقراطيين (ويكيبيديا)

استمرّ البلاك فيس وتدوين السّود -لغة، حركة، سلوك وشخصية- ككاريكاتير عبر وسائل الإعلام الجماهيرية وفي العروض الشعبيّة اليوم. وبالإضافة إلى تزايد شعبية أزياء الهالوين "السوداء"، لازالت الجامعة، عبر التراب الأمريكيّ، تحارب عروض البلاك فيس بمشاركة التلاميذ والأساتذة، وفي كل مرة تتمّ مواجهتهم يصرون بأنهم لم يقصد أي أذى أو كره عرقي.



مشهد عنصريّ من مسلسل "بكس باني" الكرتوني يظهر فيه البلاك فيس بوضوح

لا يبدو أنّ كلّ هذا بقي في الماضي، وإن كان ذلك المراهق الأمريكيّ الغرّ منذ خمسة عشر عاماً قد وقع في فخّ البلاك فيس، وهو ينشر صورته بصبغة سوداء، ولم يتوقّع أن خصومه سينبشون هذه الصّورة من الانقراض حين يتولّى مقعداً نيايباً، فلن يصبح من المستبعد أن مظاهر هذا التّرميز العنصريّ لا تزال حاضرة بين مشاهير اليوم، الذين يفترض أن يكونوا أكثر حذراً وهم ينشرون صوراً وتصريحات عشوائيّة.

مغنّو الكيبوب الشّباب يصبغون شفاههم ووجوههم، ويعلّق أحدهم أنّه يبدو شبيهاً بشخصيّة كارتونية ذات إحياء عنصريّ واضح، وينشر آخر صورته مدمجة مع صورة مغنّ أفرو-أمريكيّ وهو يمتنّى للعالم سنة قرد سعيدة² وهناك، في الجهة الأخرى من العالم، حين تقمّص الممثل الكوميديّ الأبيض شخصيّة سوداء وابتذل عرضه، ارتسمت صدمة عميقة مؤلمة على وجوه كبار مشاهير أمريكا، وعبثاً حاولوا

هاريت بيتشر ستو..

قصة حياة أمة

إعداد: حفصة بوزكري



قبل الأطباء بفترة وجيزة. أرادت ستوكمنا هضة لعقوبة الإعدام أن تتعمق في أسبابها قدر الإمكان، وشعرت بأنها تتقاسم مع الأمهات الرقيق شعورهن، بما أنهن عانين من فقدان أطفالهن بطريقة أو بأخرى. هذا ضرب من عظمة ستو؛ لقد وجدت طريقة لتقاسم مشاعرهم مع اللواتي يبدن أنهن من المستحيل أن يملكن قاسماً مشتركاً بينهما وبينها.

مع أن فقد أولئك الأطفال كان في ظل ظروف مختلفة، لكنه رغم ذلك يبقى فقداً.

أصبحت ستو مدركة أن الآباء الرقيق قد عانوا من التناقضات الشديدة لشكل أبوة أصحاب الطبقة الوسطى، وتعترف هيدريك بإدراك ستو لذلك من خلال كتابة هذا في روايتها.

كانت ستو قادرة على إدراك هته الاختلافات والتناقضات، وبقيامها بذلك استفادت من جفاف مشاعر بيض الطبقة الوسطى وتجديد تعاطفهم مع الآباء الرقيق باستعمال تعبيرات ومجازات قوية من الدين الإنجيلي، من فقد وعبودية.

في هذا الرد على فالون، ذهبت ستو إلى أبعد في توضيح وجهة نظرها قائلة: "لقد كان ذلك عند فراش موته وجانب قبره، حين علمت ما الذي قد تشعر به أم رقيق حين يؤخذ منها طفلها بعيداً".

يكن سبب تضمين علاقة ستو الجديدة (مع الأمهات الرقيق) في السيرة الذاتية في حقيقة أن نشاط ستو في المطالبة بإلغاء العبودية كان بسبب علاقاتها الشخصية المكتشفة حديثاً مع أمهات العبيد.

بالإضافة إلى الدفاع عن حقوق المرأة على المنبر الوطني، تمكنت ستو من تغيير الطريقة التي يُنظر بها إلى أدوار الجنسين في الأسرة النموذجية. تزوجت هاريت من زوجها، كالفين ستو، عام 1836. وكان مثل ستو، مؤلفاً ومعلماً. بسبب متطلبات عمل زوجته ونجاحها في الكتابة، لم يحظيا بزواج نموذجي لفترة زمنية معينة.

في رسالتها إلى إليزا كابوت فالون، كتبت ستو عن الوضع المادي لزواجها بروح دعابة، ولكن أيضاً بصدق: "تزوجت في الخامسة والعشرين من عمري برجل غني في اليونانية، العبرية، اللاتينية، والعربية. واحسرتاه! لم يكن غنياً في شيء آخر".

توضح هيدريك عن ستو أكثر: "على عكس الزيجات التي سيطر عليها الذكور في القرن الثامن عشر، كان اتحاد كالفن وهاريت "زواج صحبة" ما يُثبت أن ستو كانت رائدة في أكثر من جانب في الحركة النسائية".

كانت هاريت بيتشر ستو مؤلفة، ناشطة خيرية ومناهضة للعبودية. وُلدت في الرابع عشر جوان من عام 1811 بليتشفيلد - كونيتيكت، في الولايات المتحدة الأمريكية. تنحدر ستو من عائلة جد متدينة، والتي ساعدت في تشكيل خلفيتها التعليمية والاجتماعية. كانت ستو بمثابة رأس رمح العديد من المجموعات التي احتشدت لأجل الدفاع عن حقوق الآخرين. كان صوتها أقوى سمة لها، إذ أنها بنت مصداقيتها في مجتمع لا تتمتع فيه النساء بالقوة أو السلطة، وكانت قادرة على جذب الكثير من المتابعين.

لم تكن حياة ستو سهلة البتة؛ فكثيراً ما واجهت المضاعفات والخسارات على صعيد مآسها الشخصية، والتي كانت الحلقة المكررة في حياتها. كانت تمثل تعريفاً للألم العاملة العصرية، والتي كتبت العديد من الروايات، الشعر، والمجلات لأجل مساعدة عائلتها المتكونة من سبعة أطفال. لعبت المضاعفات التي واجهتها دور العامل المحفز في حياتها المهنية فكانت مصممة على النجاح لأجل عائلتها. ساعد عملها قبل الحرب الأهلية وبعدها، على تشكيل تاريخ أمريكا.

امتدت حياة هاريت بيتشر ستو لمدة خمس وثمانين عاماً، وتوفيت في الأول من شهر ماي عام 1896. خلال حياتها؛ غيّرت بشكل عميق وملحوظ مسار التاريخ الأمريكي، كان ذلك من خلال عملها كمتحدثة وكاتبة على حد سواء، كما توضح ذلك هذه السيرة الذاتية التي تُبرز إنجازاتها العديدة. دون إنجازاتها هته، فإنه من الممكن أن العبودية كانت لا تزال موجودة اليوم. لم تتمتع المرأة حينها بالحقوق التي تعتبر حريات بديهية في هذا العصر - والتي كان غالباً يتم التقليل من قيمتها وتجاهلها، مثل الحق في التصويت أو حرية الفرد خلال الزواج. لكن ستو عملت بجد لتحقيق النجاح في مختلف القضايا الاجتماعية "في زمن لم يكن فيه الأدب مهنة محترمة أو مربحة" كما قالت هيدريك (كاتبة كتاب السيرة الذاتية لهاريت).

كانت حياتها مهمة بشكل خاص لأنها لم تسمح لمعايير تلك الحقبة الزمنية بتحديد كيانها. في عام 1852، كتبت إليزا كابوت فالون (كاتبة ومناهضة للعبودية وعقوبة الإعدام) رسالة إلى ستو في محاولة لمعرفة المزيد عن حياتها. كانت هذه الرسالة قيمة للغاية على الصعيد الشخصي لتطور ستو لأنها كانت عموماً شخصاً كتوماً للغاية، ولكنها في هذه الرسالة، أفضت إلى فالون بطريقة لم يسبق لها مثيل.

توفي تشارلي؛ ابن ستو، بسبب الكوليرا بعد أن تم تشخيصه من

كتاب السيرة الذاتية: هاريت بيتشرستو، يؤرخ اتحادهما، بما في ذلك السنوات الأخيرة من زواجهما عندما تقاعد كالفين وواصلت هاريت العمل، وأصبحت المُعيل الوحيد للعائلة، وهو شيء لم يسمع به أحد في الواقع في القرن الثامن عشر.

كانت أبرز الإنجازات التي حققها هاريت بيتشرستو نشر روايتها "مقصورة العم توم"، وهو كتاب مناهض للعبودية، يروي قصة عبد اسمه توم. قُدمت ستول لأول مرة إلى عالم مكافحة العبودية من خلال ارتباطاتها في "حركة حرية التعبير" التي ظهرت للدفاع عن العبيد.

هنا، تستكشف هيدريك تأثير الانضباط على ستو، إذ أن حيلة حرية التعبير قادتها إلى طريق مختلف للدفاع عن الحقوق. كتبت ستورسالة إلى رجل يدعى ويليام لويد جاريسون، الذي كان صحافياً ومناهضاً للعبودية.

جاريسون، مثل ستو، كان يبحث عن طريقة لفهم مجتمع الرقيق بشكل أفضل.

بعد إطلاق روايتها، عملا ستو وجاريسون معاً، كما أشار في سيرة هيدريك، والتي تشرح فيها شراكتها "في شتاء 1853-1854 نُظمت، بالتنسيق مع جاريسون، سلسلة محاضرات بوسطن المناهضة للعبودية، معتقدين أن هذه طريقة فعالة لمعرفة قناعات الناس بالانطباعات الشعبية التي نتجت عن قراءة وتمثيل مقصورة العم توم".

رؤية ستو في هذا الموقف جعلها مؤثرة بشدة. وفقاً للسيرة الذاتية، فإن ستو قبل نشر مقصورة العم توم، لم تكن حقاً ناشطة سياسية.

شكل جاريسون "حركة مجتمع نيو إنجلاند للمقاومة". كان هدف هذه الحركة هو "دعم حق المرأة في المشاركة في سياسة مكافحة الرق". وبطبيعة الحال، وافقت ستو على أفكار هذه المجموعة. شعرت النساء بأن هذه المجموعة ستكون مفيدة، وكما تقول هيدريك: "لجأت النساء إلى ستو للتخفيف عنهن من نوع معين من الأفكار الدينية التي لم يكن قادرات على التعبير عنها لأسيادهن".

من أجل التأكيد على أن نشر روايتها يرسم صورة دقيقة للرق، اعتقدت ستو أنه سيكون من الأفضل التواصل مع فريدريك دوغلاس الذي كان في السابق عبداً. وكانت رواية "مقصورة العم توم" في فترة قالت عنها هيدريك: "أن المرأة الحقيقية لا تعترف بأنه قد تم تجريد العبيد من ملابسهم، وأنهم قد تعرضوا للضرب، وبأنه قد كانت هناك رابطة جنسية بين العبيد الإناث

وأسيادهن، أنهم أنجبوا أطفالاً من كل الألوان.. "من الواضح أن ستو هي أول امرأة تصنع هذا الاعتراف. كما تؤكد هيدريك، أن الحديث عن العبودية كان في حد ذاته جريمة، هذا ما يثبت أن ستو لم تكسر قانوناً وعرفاً واحداً بل اثنين.

لكي تثبت ستو لدوغلانس أن هدفها كان مساعدة العبيد، كتبت: "عشتُ وزوجي على حدود دولة الرقيق لسنوات عديدة، ونحن لم نستعبد أبداً، لم نتهرب منهم أبداً - لقد ساعدناهم بكل ما أمكن تقديمه - لقد استقبلت أبناء العديد من العبيد المحررين في مدرسة عائلية وعلمتهم مع أطفالنا".

تطرح هيدريك السؤال الآتي: "كيف كانت هاريت بيتشرستو ابنة وزوجة رجلين متدينين أن تصل إلى احتضان مشاهد من القمع والاضطهاد والتي اعتمدت عليها قصتها؟" شملت هيدريك هذا السؤال في السيرة الذاتية لأنه يشكل معضلة بالنسبة لستو. نعثري على الإجابة على هذا السؤال بمساعدة عبد سابق، مثل دوغلاس.

يبدأ ستو ودوغلانس في حل خلافاتهما حول موقف الكنائس من العبودية، أدرك دوغلاس أن كل ما أرادته ستو هو مساعدة المتأذين من العبودية، وبدأ بالإفضاء لها عن حياته كعبد يعمل في مزرعة القطن، وعلاقته مع سيده. أصرت ستو على إخضاع العلاقات الخاصة بين السيد والعبد للرأي العام. وهذا، كما تكتب هيدريك، جعل أيديولوجية

الجوازيين الطبقتين العامة والخاصة تهار، اعتبر هذا عملاً ثورياً كانت لديه القدرة على تحرير النساء البيض كما كان الحال بالنسبة للذكور والإناث من العبيد دون تفرقة. يُعد هذا واحداً من أعظم إنجازات ستو في عملها الروائي.

كانت أول نقطة تحول في حياة هاريت بيتشرستو في مستقبل عمرها، غير قادرة على فهم الخسارة التي طالتها. لم تعرف سوى القليل عن كون هذا الموت الذي مس عائلتها سيعيد تشكيل الجوانب الشخصية والمهنية في حياتها.

توفيت والدة ستو، روكسانا بيتشر، عندما كان عمر ستو خمس سنوات. تمضي ستو في الكتابة عنها في روايتها "مقصورة العم توم" وتشير إليها كشخصية ملائكية. في عقل هاريت، كان لذكرى ونموذج روكسانا تأثيراً أكبر في تشكيل عائلتها بردها عن الشر وتقريبها من الخير.

من خلال العديد من أعمالها الأدبية، ابتكرت ستو "الأمهات الأدبيات"، حيث كتبت عنهن وكأمن أمها. لربما حاولت ملء فراغ اليتم والعيش دون أم عن طريق الكتابة. تكتب هيدريك

عن هؤلاء الأمهات الأدبيات، وكيف أن ذاكرة أم ستولم تُنس، بسبب والدها الذي ظل يحاول الحرص على أنها لم تُنس. قد يكون فقدان والدتها في هذه السن المبكرة مصدر إلهام لها في الدفاع عن حقوق المرأة، بنية أن تجعل والدتها فخورة بها.

بينما واصلت حياتها المهنية ازدهارها، أصبحت ستو مهووسة بفكرة الكمالية أو المثالية وحاولت تحقيقها في كل جانب من جوانب حياتها. كان لهذا الهوس أثره البارز عليها، إذ أنها ابتعدت عن أسرتها وكرّست معظم حياتها لأعمالها.

في الأول من جويلية/يوليو، عام 1843، انتحرجورج شقيق ستو. كتاباته المعنونة بـ"آراء عن المسيحية الكمالية" ظهرت في وقت لاحق وكشفت أن هوسه ليصبح مسيحياً مثالياً أدى به إلى حتفه. موت جورج ألقي بهارييت في صراع نهائي مع الكمال، وفقاً لهيدريك. تقول ستو: "موت جورج المفاجئ هز كلّ روحي كزلزال". كانت وفاته بمثابة دعوة لها للاستيقاظ، من هنا، بدأت تتخلى عن هوسها بأن تصبح مسيحية مثالية وتجعل وفاة أخيها مصدر إلهام لها هو الآخر كي تكتب.

توضح سيرة ستو، التي كتبها هيدريك، أنها كانت كتومة للغاية. وكان من المهم أن تُدرج هذه القطعة لأنها أظهرت تطور ستو كشخص وكاتب.

عام 1863، تمت دعوة ستو إلى قاعة موسيقى ببوسطن مع أشخاص آخرين ناضلوا أيضاً لإلغاء الرق. كان هذا وقت إعلان مرسوم التحرير من قبل لينكولن حيث حسب هيدريك "كان نظام القوانين قد خلق أمة منفصلة داخل الجمهورية، أمة من الناس تم إعلانهم من قبل على أنهم دون هوية قانونية، دون روح، دون غرض سوى خدمة الآخرين، ولا مصلحة فيهم للتجربة الجمهورية". تصاعد هتاف الحشد باسمها ممتناً لكل ما فعلته للحركة المناهضة للعبودية. ستو، وقفت والدموع في عينها، تعبر عن شكرها لذلك الإجلال. كان هذا بمثابة نقطة تحول في حياتها المهنية لأنها حصلت أخيراً على الاحترام والشرف اللذين تستحقهما. تكتب هيدريك عن مختلف الجوائز التي حظيت بها ستو وكيفية قبولها لها. كانت ستو تكتب رسائل إلى مختلف أعضاء عائلتها حول الارتباطات الاجتماعية التي سارت مع شهرتها الجديدة نحو زيارة للبيت الأبيض.

انخرطت ستو وأصبحت رئيسة عديد الجماعات المحيطة بقضايا حقوق المرأة وإلغاء الرق. كانت تعتبر واحدة من أعظم الكتاب على مَرَّ العصور. السيرة الذاتية هي أفضل طريقة لسرد التسلسل الزمني ليس فقط لأحداث حياتها ولكن للعديد من

التغييرات الاجتماعية التي حدثت خلال فترة حياتها أيضاً. تجمع السيرة الذاتية ألمع الحروف التي كتبها في مكان واحد مع شرح سياقها في كتاباتها. تمت كتابة هذه السيرة بدقة من خلال إدراج رسائل شخصية كتبها ستو طوال حياتها.

ستو، كونها الشخصية الكتومة المحبة لاحترام المساحات الشخصية، لم تكتب عن حياتها للعامة قط، لهذا فقد كانت هذه الرسائل مطلوبة لتصوير ستو بأفضل طريقة ممكنة. كان الخطأ الوحيد بهذه الرسائل أن ستولم تؤرّخها.

من المهم أن تُدرس حياة هارييت بيتشر ستو لأنها كروائية تسببت في ضجة اجتماعية عامة أيقظت أمريكا كما أنتجت تغييراً في جميع أنحاء البلاد خلال القرن التاسع عشر. كانت رواية "مقصورة العم توم" تحظى بتقدير كبير واعتُبرت كرواية غيرت العالم. قال الرئيس لينكولن عند لقائه بها في البيت الأبيض: "إذاً أنت المرأة الصغيرة التي كتبت الكتاب الذي بدأ هذه الحرب العظيمة!" كانت هي المرأة الأولى من هذه الفترة الزمنية التي وجهت صوتها للتعبير عن رأيها في القضايا التي أثرت على شريحة كبرى من المجتمع. كما يمكن اعتبارها واحدة من أكثر الأشخاص تأثيراً في القرن التاسع عشر. إنه مهم أن يعرف الجميع عن حياتها ومساهماتها في المجتمع من أجل فهم إلى أي مدى أصبحت قضايا حقوق المرأة والعبودية تحتاج للدفاع عنها.

"هارييت بيتشر ستو: حياة بقلم جوان د هيدريك - Harriet Beecher Stowe: a life by Joan D Hedrick" سيرة تحتوي على أعمال حياة هارييت وإنجازاتها المختلفة نتيجة لمناصرتها قضايا حقوق المرأة وإلغاء الرق. تثبت هذه السيرة الذاتية، إلى جانب ثلاثة مصادر أساسية أن ستو كانت رائدة في القرن التاسع عشر. هذه السيرة على وجه الخصوص جعلت كون ستو واحدة من أعظم النساء في التاريخ قضية قوية. وأوضحت هيدريك أهميتها فسّلت الضوء على الطرق التي تحدّت بها ستو معايير القرن التاسع عشر.

إعداد: زين العابدين لطرش

قنديل أم هاشم ومعضلة البحث العلمي في الجزائر

إهداء: إلى نديمي وصديقي أستاذ اللغة الإسبانية، قارئ الوحيد إن اعتبرنا إجباره على الإنصات لي وأنا أقرأ له ما كتبت في المقهى يدخل ضمن أنواع القراءة! عزيزي حميد، سنرجع يوماً إلى مقهانا.

عزيزي حميد،

بدأً من أن يضحى بقوت العائلة ورفاهيتها، فيبيع ما فوقه وما تحته ليرسله إلى أوروبا كي يدرس الطب هناك. ويرحل الابن إلى إنجلترا ليعيش هناك سبع سنوات، ويمهري جراحة العيون لدرجة ينال بها إعجاب أساتذته، فيقول له أحدهم مازحاً:

"أراهن أن روح طبيب كاهن من الفراعنة قد تقمصت فيك يا مستر إسماعيل. إن بلادك في حاجة إليك، فهي بلد العميان!" ويعود الابن حاملاً شهادته وحلمه بأن يغدو طبيباً يُشار إليه، وقد تبدلت نظرته للحياة، وتزعزع إيمانه وصار لا يؤمن إلا بالعلم، فيصدمه مجتمعه المتخلف الذي لا يزال غارقاً في الجهل والخرافة، ويكره رضاه وسذاجته واستسلامه للعادات والتقاليد المتخلفة.

"أشرف على الميدان فإذا به يموج كدأبه بخلق غفير، ضربت عليهم المسكنة، وثقلت بأقدامهم قيود النذل. ليست هذه كائنات حية تعيش في عصر تحرك فيه الجماد. هذه الجموع آثار خاوية محطمة كأعقاب الأعمدة الخربة، ليس لها ما تفعله إلا أن تعثر بها أقدام السائر"

لولم تكن سمعت (كعادتك طبعاً) بالمجموعة القصصية "قنديل أم هاشم" للعسكري يحيى حقي، فأرجو أن تجلس بجانب ولا بأس قبل ذلك أن تعد لي فنجاناً طيباً من القهوة حتى أركز في القصة وأنسى خيبي الأدبية فيك!

صدرت قصة «قنديل أم هاشم» للأديب المصري الكبير يحيى حقي (-1905 1992م) في الأربعينيات من القرن الماضي؛ وككل عمل جيد -توفر في إعداده الإتقان والإخلاص- فإن هذه التحفة لم تتأثر بقوانين الزمن، فلم تخضع للتقادم ولم تُحل على المعاش بتوالي السنوات. ولا تعتبرني مبالغاً (تحت تأثير القهوة) إن قلت لك أنني أعتبرها إحدى أفضل ما تم إنتاجه أدبياً في القرن الماضي.

تدور أحداث هذه القصة حول الشاب (إسماعيل) الذي استوطن أبوه -التاجر الحاج رجب- حي السيدة زينب الشعبي بالقاهرة، وجعله نبوغ ولده إسماعيل ونجابته في الدراسة يحلم أن يغدو هذا الأخير طبيباً شهيراً، لكن ابنه الذي عوّده على التفوق في سنوات الدراسة لم يوفق في الحصول على مجموع كبير يؤهله لدخول كلية الطب، ولم يجد الحاج رجب

يستطيع النظر في وجه فاطمة وعمها دليل عماه. ويعيش فترة متأماً متفكراً، ثم يقوده التفكير إلى التصالح مع طبيعة شعبه الخالدة التي لا تتغير رغم مرور الكثير من الغزاة عليه، ويعود إليه إيمانه، ويتزايد إعجابه بهذا الشعب العجيب.

"وهكذا يظل واقفاً في الميدان، ساعات طويلة، سارح الدهن، شارد اللب، تتسرب إلى أذنه النداءات القديمة. هي هي لم تتغير. ماذا؟ لعل كل والد أورث ابنه مهنته وصوته وموضعه في الميدان! مساكين! كل من خدمهم من علمهم واستعجلهم الجزاء أضعافاً مضاعفة. لم يخدموا أحد لله أوحبا فيهم، ومع ذلك جروا وراء كل من توهموا فيه الخلاص وتشبثوا بأذياله، ورفضوا أن يروضعفه أو خيانتته. هذا شعب شاخ فارتد إلى طفولته."

هكذا يقرر إسماعيل مسيرة قومه ويطلب كمية من زيت قنديل أم هاشم لعلاج فاطمة، التي سرعان ما شفيت! "وخرج إسماعيل من الجامع وبيده الزجاجة وهو يقول في نفسه للميدان وأهله:

تعالوا جميعاً إلي! فيكم من آذاني، ومن كذب علي، ومن غشني، ولكني رغم هذا لا يزال في قلبي مكان لقد ارتكمت وجهلكم وانحطاطكم، فأنتم مني وأنا منكم. تعالي يا فاطمة! لا تيأسي من الشفاء. لقد جئت بك ببركة أم هاشم! ستجلي عنك الداء، وتزيح الأذى، وترد إليك بصرك فإذا هو حديد. وشد ضفيريها واستمر يقول: وفوق ذلك، سأعلمك كيف تأكلين وتشربين، وكيف تجلسين وتلبسين، سأجعلك من بني آدم"

في النهاية، يعود إسماعيل لممارسة الطب، ويفتتح عيادة في حي البغالة بجوار التلال خصصها للعلاج الفقراء والفلاحين. في منزل قد يصلح لكل شيء ما عدا استقبال مرضى العيون.

"كم من عملية شاقة نجحت على يديه بوسائل لو رآها طبيب أوروبا لشهق عجباً"

وتزوج إسماعيل فاطمة وأنسلها خمسة بنين وست بنات، كان في آخر أيامه كما وصفه يحي حقي:

"ضخم الجثة أكرش أكلواً نهماً، كثير الضحك والمرح، ملابسه مهملة، تتبعثر على أكمامه وبنطولنه آثار مراد سجائره التي لا ينفك يشعل جديدة من منتهية..

إلى الآن، يذكره أهل حي السيدة بالجميل والخير، ثم يسألون الله له المغفرة"

ويغضب كثيراً؛ لأن الجهل والخرافة قد امتد ليطول ابنة عمه ومخطوبته (فاطمة النبوية)، حين يرى أمه تضع قطرات من زيت قنديل أم هاشم على عينها الرمداء، معتقدة كغيرها أنه قادر على شفاؤها؛ باعتباره الزيت المبارك المأخوذ من مقام السيدة زينب، وعندها يثور الشاب، ويحاول تحطيم قنديل أم هاشم، لكنه يصطدم بالجماهير التي تضربه ضرباً عنيفاً يكاد يفقده حياته.



مشهد من فيلم عن الرواية يعكس صدمة إسماعيل غداة رجوعه من ألمانيا

"ومرت أيام كثيرة وإسماعيل لا يغادر الفراش. ركبته العناد، فأدار وجهه للجدار لا يكلم أحداً ولا يطلب شيئاً. ولما أفاق قليلاً بدأ يفكر: هل يعود إلى أوروبا ليعيش وسط أناس يفهمون الحياة؟ إن الجامعة عرضت عليه منصب أستاذ مساعد فرفضه بغياوة، ولعلمهم يقبلونه الآن إذا طلب. ولم لا يتزوج هناك، ويبنى لنفسه أسرة جديدة بعيداً عن هذا الوطن المنكود؟!"

لكنه ككل أبطال القصص لا يستسلم، فيقرر علاج فاطمة كما يقتضيه علمه وطبّه، أليس هو الذي عالج في أوروبا أكثر من مئة حالة مثلاً، فلم يخنه التوفيق في واحدة، فلماذا لا ينجح مع فاطمة أيضاً؟ لكنه يفشل، بل ويسبب لها العى التام.

"لماذا خاب؟ لقد عاد من أوروبا بجعبة كبيرة محشوة بالعلم، عندما يتطلع فيها الآن يجدها فارغة، ليس لديها على سؤاله جواب. هي أمامه خرساء ضئيلة، ومع خفتها فقد رآها ثقلت في يده فجأة."

من هول الصدمة، يهرب إسماعيل من داره وحيّه، فكيف

فرنسا وفي جيبه بدل الشهادة شهادتان، صديقي هذا يا حميد حجة في الرياضيات وفي الحروب (أتعلم أنه في بداية عودته خاض حرباً من أجل التوظيف، ثم حرباً من أجل السكن، وحالياً يخوض حرباً من أجل كرامة الأستاذ وتجديد مناهج التدريس بما يتماشى مع واقعنا وتطلعات بلدنا؟!)

وغيرهم يا حميد الكثير الكثير، منهم من قضى نحيبه العلمي مستسلماً كما فعل إسماعيل من قبل، ومنهم من لا يزال متشبثاً بقشة الغريق، علّ وعسى يأتي يوم نتمكن فيه من هدم معبد أم هاشم.

كنت ولا أزال يا حميد، أرى أن مشكلة جامعاتنا ليست قلة البحوث بل نوعيتها، وليس أن ننشر بل أين ننشر؟ كنت ولا أزال، أرى أن نشر المقال هو بداية القصة وليس نهايتها؛ لهذا سئمت الذهاب للجامعة كي أرى أرواح من ذكرت لك من العائدين تذوي من مرارة الاختلاف، وكأنه قد كتبت عليهم الغربة، فإن لم تكن بسبب الجغرافيا فهي بين أظهر قومهم لأنهم لم يستسيغوا زيت أم هاشم ولم يرضوا أن يصيروا كالآخرين.

هل عرفت الآن علاقة القصة بواقعنا العلمي المير، فبركة زيت أم هاشم قد غشيت كل العيون، وساد الخطأ لدرجة أن كل من تسول له نفسه يستطيع نيل شهادة الدكتوراه، وشروط مناقشة هذه الأخيرة تصبح أسهل يوماً بعد يوم؛ لأن وزارتنا -حفظها الله- تحب الأرقام، إن هي إلا مسرحية يدعى إليها الأحباب والأصحاب شعارها:

من حك لي فله أحك وهكذا === تُجنى الشهادة أيها الجهال!

ثم ترتفع الأقداح والأنخاب، والمفارقة أن الجميع راض والجميع سعيد، لدرجة أن أحد الوزراء قد صرح أننا لا نحتاج لجوائز نوبل، أوليس (وليسامحنا المتنبي):

قواصد أم هاشم توارك غيرها === ومن قصد البحر استقل السواقيا

لقد أطلت عليك يا حميد، لنأمل أن يأتي اليوم الذي نمسح غشاوة زيت البترول عن أعيننا، وأن نخط مستقبلنا بمسطرة البحث العلمي الجاد والصارم، بدل التهريج وبدل بركة أم هاشم، كما أمل أن يكون حسابك هيئاً مع أم العيال على تأخرك اليوم.



إلى الآن، يذكره أهل حي السيدة بالجميل والخير، ثم يسألون الله له المغفرة

تسألني يا حميد: ما علاقة هذا بالبحث العلمي في وطننا المنكود هو الآخر؟!

أراك مستعجلاً مرتبكاً لا تفتأ تتفقد هاتفك، هذا ما أسميه (تأثير أم العيال)، أنصحك بطلب فنجان قهوة آخر؛ فالمهم لم يأت بعد.

تعلم يا حميد أن عملي في الجامعة أتاح لي التعرف عن قرب إلى أولئك المحظوظين، الذين قضوا جزءاً مهماً من حياتهم يدرسون في الجامعات الغربية، وحتى اليوم أنظر مهوراً لكل وافد بشهادة من وراء البحار؛ باعتباره شخصاً خارقاً تلقى أسرار الكهنوت من كاهنة المعبد شخصياً! (طبعاً ليس كل عائد من وراء البحار ملوحاً بشهادته، يستحق انبهاري، فهناك من -ولا مؤاخذة- اشتراها كما تشتري الأنعام بأموال أبيه لزوم المكانة الاجتماعية كما تعلم، وجلسنا هذه جلسة محترمة فدعنا لا نلوثها بذكر هذه الأقدام السوداء).

دعني بدل ذلك أحكي لك عمن يستحق الذكر، عن أستاذ الفيزياء النظرية، الذي عاد من إيطاليا وفي ذهنه بناء مدرسة جزائرية في الفيزياء يكون لها مكانها في حوض المتوسط كبداية على الأقل، فانتهى به المطاف يبحث عن مكتب، وحين حصل على واحد لم يحصل على طلبة لأن سمعة الرجل السيئة -من حيث الالتزام بالبحث الجاد- جعلت الطلبة (وحتى الزملاء) يفرّون منه فرارهم من المجذوم ويرون فيه مدّ نبوة بعد أن ولى زمن النبوات.

هل أخبرتك عن صديقي أستاذ الرياضيات، الذي عاد من



الرافعي: من الشعر حتى النقد

"أنا لا أعبأ بالمظاهر والأعراض التي يأتي بها يوم وينسخها يوم آخر، والقبلة التي أتجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها، فلا أكتب إلا ما يبعثها حية ويزيد في حياتها وسمو غايتها، ويمكن لفضائلها وخصائصها في الحياة؛ ولذا لا أمسُّ من الآداب كلها إلا نواحيها العليا (١)".

إعداد: آية الشاعر

الرافعي

من الشعر حتى النقد

مصطفى صادق الرافعي (1880م-1937م). هو أحد الأدباء الذين أدركوا قيمة الرسالة الموكلة إليهم، وعرفوا واجباتهم كما فهموا حقوقهم، ورسموا لهم هدفاً عازمين ألا يحيدوا عنه رغم وعورة الطريق. لم تكن حياة الرافعي حياة شخص واحد، وإنما كانت حيوات كثيرة بينها الاختلاف والتوافق، التجاذب والتنافر، التحدي والتسليم، وفيه اجتمعت حياة شاعروكاتب ومؤرخ وناقد.

هو سوري الأصل، مصري المولد، إسلامي الوطن والانتماء. ولد في يناير عام 1880م في مدينة طنطا بمصر. كان والده (عبد الرزاق) رئيساً لمحكمة طنطا الشرعية؛ فنشأ في أسرة متدينة تحب العلم والثقافة وتلقى تعاليم الدين فيها حتى بلغ العاشرة، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية ونال الشهادة وعمره سبع عشرة سنة أو أقل بقليل. وفي تلك السنة أصابه مرض التيفوئيد، وألزمه أشهراً في فراشه، فأثّر في أعصابه، وترك أثراً خفيفاً في صوته جعل فيه "رنيناً أشبه بصراخ الطفل". (2)

وفقد سمعه تدريجياً، حتى فقدته تماماً في الثلاثين من عمره. وبسبب بؤس هذه العلة انقطع عن المدرسة، فأكب على مكتبة والده الحافلة بنوادير كتب الفقه والدين والعربية، واتخذ من الكتب مدرسة وحياة، ومن مؤلفيها مدرسين وأساتذة، وممن فيها رفقاء وخلاناً. فاستمع إلى أصواتهم وحفظ أخبارهم وأحاديثهم. وهكذا تهيأت له أسباب المعرفة والاطلاع، واعتاد العمق في التحليل والتخيل، وأحاط بالكثير من كتب العلم والأدب ولمّا يتجاوز العشرين من عمره.

"وكان حتى وفاته، يقرأ كل يوم ثماني ساعات متواصلة لا يمل ولا يريح جسده وأعصابه... وكان إذا زاره زائر في مكتبه جلس قليلاً يحييه، ثم لا يلبث أن يتناول كتاباً مما بين يديه، ويقول لمحدثه: تعال نقرأ... وتعال نقرأ هذه معناها أن يقرأ الرافعي ويستمتع الضيف، ولا يكف عن القراءة حتى يرى في عيني محدثه معنى ليس منه أن يستمر في القراءة..

وفي القهوة، وفي القطار، وفي الديوان، لا تجد الرافعي وحده إلا وفي يده كتاب. (3)"

عمل -حتى وفاته- كاتباً في المحكمة بمعاش زهيد لا يكاد يعينه على العيش، كتب الشعر والنثر في بعض الصحف الأدبية، وله مؤلفات مميزة جعلت الأدباء في عصره يشهدون له بالنبوغ والعبقرية.

الرافعي الشاعر

وظل على مذهبه في الشعر حتى عام 1911م، ولعله شعروقتها أنه حقق غايته التي كان يريها، أوتنبه لرسالة يجب أن يؤديها في مجال النثر، فولى وجهه شطر الأدب، مع كتابته المتقطعة للشعر.

أما هو فيعزي سبب هذا التحول أنه كان يرى في الشعر قيوداً تمنعه من البوح بكل العواطف المضمرة في نفسه، فيقول: "ومن نكد الشعر العربي أنه لا يتسع لبسط المعاني فإذا بسطت المعاني فيه وشرحت؛ سقطت مرتبته من الشعر وأصبح نظماً كنظم المتنون في الأكثر وهذا هو ما صرفني من الأول إلى الكتابة ووضع حديث القمر والمساكين وغيرهما، فإن هذه الكتب هي شعر ولكنه في غير الظروف الموزونة. (5)"

لم يُوفّق شاعر من شعراء العربية توفيق الرافعي في تأليف الأناشيد، ولم يُكْتَبَ لنشيد وطني أو طائفي من الذبوع والشهرة والانسجام مع الألحان ما كُتِبَ لأناشيد الرافعي، فهو بذلك خليف أن نسميه «شاعر الأناشيد» (4).

بدأ الرافعي يكتب الشعر وينشره في المجلات الأدبية، ولم يتجاوز العشرين، ثم نشر أول ديوان له عام 1903م وعمره ثلاثة وعشرين عاماً.

تناولت الصحف والمجلات ديوانه الأول بالنقد والتقرير. وفي 1904م نشر الجزء الثاني، ثم الثالث عام 1906م.

وفي عام 1908م أصدر الجزء الأول من ديوان "النظرات" وقدم له بمقدمة بليغة أراد فيها منافسة الشاعر حافظ إبراهيم في مقدمة ديوانه، فتألق نجمه ولمع اسمه بين شعراء عصره، ونال تقدير الأدباء وثناءهم، فتنبأ له الزعيم المصري مصطفى كامل باشا بأنه: سيأتي يوم إذا ذكر الرافعي، قال الناس: هو الحكمة العالية مصوغة في أجمل قالب في البيان.

كما كتب الكثير من الأناشيد التي لاقت إقبالاً وتركت صدى، مثل "اسلمي يا مصر"، والنشيد الوطني المصري "إلى العلا"، والنشيد الوطني التونسي "حماة الحمى".

الرافعي الكاتب

"لم تكن الكتابة عند الرافعي فكرة ومعنى فحسب، بل كانت فناً وأسلوباً وصناعة، والأدب العربي منذ كان إلى أن يُطوى تاريخه بين دفتين، هو فكر وبيان، لا بد من اجتماع هاتين الميزتين فيه ليكون أدباً يستحق الخلود (6)"

ومن كتبه النثرية أيضاً (كتاب المساكين) الذي كتبه عام 1917 م متأثراً بأهوال الحرب العالمية وما خلّفته من فقر وبؤس، وقال عنه الأديب والمحقق أحمد باشا: "لقد جعلت لنا شكسبير كما للإنجليز شكسبير، وهيجو كما للفرنسيين هيجو، وجوته كما للألمان جوته".

وكتب في النقد أيضاً: (على السفود)، و(تحت راية القرآن)، وسيتم الحديث عنهما لاحقاً.

أما وحي القلم، فهو آخر كتبه المنشورة ومن أكثرها شهرة ويضم معظم مقالات الرافعي التي كان ينشرها في الصحف، وفيه بعض القصص التي برع فيها وأبدع في تخيل العصور الماضية وإنشاء شخصياته فيها، حتى لتحسب القصة صحيحة تماماً لا شك فيها، واستخدم شخصيات تاريخية معروفة وأجرى على لسانها أحاديثاً وأسماراً مائعة، ووفق في توظيف التاريخ بشكل إيجابي في معالجة قضايا المجتمع وتربيته.

أراد الرافعي دوماً النهوض باللغة وتنشئة أجيال تفهم مكانتها وتعي أهميتها، فكان يرى اللغة أساس الدين والهوية والوطنية أيضاً، فلا نهوض لهذه إلا بتلك؛ لذلك أخذ يقرأ في كتب الأدب التي كتبها العظماء في عصور العربية المزهرة، وكان يبحث دوماً عن "التعبير الجميل، والعبارة المنتقاة، واللفظ الجزل، والكلمة النادرة، فيضيفها إلى قاموسه المجيد ومعجمه الوافي، لتكون له عوناً على ما ينشئ من الأدب الجديد الذي يريد أن يحتذيه أدباء العربية" (7)

وكان يرى الكتابة تصوير للحياة وحقائقها بأسلوب أدق وأوفى: "فالكاتب الحق لا يكتب ليكتب، ولكنه أداة في يد القوة المصوّرة لهذا الوجود، تصور به شيئاً من أعمالها فناً من التصوير" (8).

أول كتبه النثرية هو "تاريخ آداب العرب"، وكان استجابة لمسابقة أعلنتها الجامعة المصرية لتأليف كتاب في أدبيات اللغة العربية، وقد أعلنت الجامعة عن المسابقة بعد أن كتب الرافعي مقالات ينتقد ضعف منهجها في الأدب، وعدم استحداثها شيئاً ذا قيمة يضاف إليه، وقلة كفاءة مدرّسيها في هذا المجال.

أتم الرافعي تأليف الكتاب عام 1911م، وقام بطبعه على نفقته قبل أن ينتهي موعد المسابقة، وتم تدريسه في الجامعة لاحقاً. لاقى هذا الكتاب استحساناً كبيراً، وكان الكثير من الأدباء لا يعترفون بفضل الرافعي على العربية إلا به. ثم أصدر الرافعي الجزء الثاني منه بعنوان: إعجاز القرآن، وأتم معظم الجزء الثالث "أسرار الإعجاز" لولا أن أدركته يد المنون قبل إتمامه ونشره.

أنشأ سلسلة من الكتب شكلت وحدة متكاملة من فلسفة الحب والجمال، وهي: حديث القمر، ورسائل الأحران، والسحاب الأحمر، وأوراق الورد. وفيها وضع مذهباً جديداً في الأدب لم تعرفه العربية من قبل، وهي عبارة عن نثر شعري أو شعر منشور في لوحات فنية عامرة بالأساليب البليغة والألفاظ الجزلة، ثرية بالصناعة البيانية.

وهذه الكتب الأربعة رآها فريق من القراء غامضة مهمة، ووجدها فريق آخر زاداً للقلب ورواءاً للروح.

الرافعي الناقد

لقد كان ناقداً عنيفاً حديد اللسان، لا يعرف المداواة ولا يصطنع الأدب في نضال خصومه. وكانت فيه غيرة واعتداد بالنفس، وكان فيه حرص على اللغة "من جهة الحرص على الدين، إذ لا يزال منهما شيء قائم كالأساس والبناء: لا منفعة فيهما معا إلا بقيامهما معا" (9).

وكان مما كتبه طه حسين في رسائل الأحران: «كل جملة من جمل الكتاب تبعث في نفسي شعوراً قوياً أن الكاتب يلدها ولادة، وهويقاسي في هذه الولادة ما تقاسيه الأم من الآم الوضع»

فرد عليه الرافي:

لقد كتبتُ رسائل الأحران في ستة وعشرين يوماً، فاكتب أنت مثلها في ستة وعشرين شهراً، وأنت فارغ لهذا العمل وأنا مشغول بأعمال كثيرة لا تدع لي من النشاط ولا في الوقت إلا قليلاً، وهأ أنا أتحدك أن تأتي بمثلها أو بفصل من مثلها، وإن لم يكن الأمر عندك في هذا الأسلوب الشاق عليك إلا ولادة وآلاماً من آلام الوضع كما تقول، فعلي نفقات القابلة والطبيبة متى ولدت بسلامة الله، وإني لأتحدك وأنا أخبر الناس بما تطيق وما لا تطيق، وسبحان من خلق النسر خلقة والديك الرومي خلقة أخرى! (13)

وفي عام 1925م، صار طه حسين أستاذ الأدب العربي في الجامعة المصرية، وجمع محاضراته التي ألقاها في الشعر الجاهلي، وكان قد طرح آراءه التي عارض فيها الثوابت الدينية وخالف المؤلف والمعروف، وأصدرها في كتاب بعنوان "في الشعر الجاهلي".

أثار الكتاب ضجة كبيرة، وهب الكثير من الأدباء والكتاب للرد عليه ودحض آرائه، وجاءت مقالات الرافي مترادفة "ثائرة مهتاجة تفور بالغيظ وبالحمية الدينية وبالعصبية للإسلام والعرب، كأن فيها معنى الدم". (14)

ثم جمع الرافي مقالاته في المعركة بين القديم والجديد، من سنة 1908-1926م في كتاب أطلق عليه: تحت راية القرآن: المعركة بين القديم والجديد.

ورغم حدة الخصومة والمعارك التي قامت بينهما، فقد سجل كل واحد منهما في إحدى كتبه أوبعضها مدحاً للآخر. فقد عاد طه حسين، وصحح رأيه في كتاب "تاريخ آداب العرب" عام 1926م، فاعترف أنه لم يعجبه أحد ممن ألفوا في الأدب باستثناء الأستاذ مصطفى صادق الرافي، فأثنى عليه بقوله: "فهو قد فطن لما يمكن أن يكون من تأثير القصص في انتحال الشعر وإضافته إلى القدماء كما فطن لأشياء أخرى قيّمة وأحاط بها إحاطة حسنة في الجزء الأول من كتابه تاريخ آداب العرب" (15). وقال الرافي وهو يرد على نقد طه لكتاب رسائل الأحران: "أنا لا أقول: إن الأستاذ طه ليس شيئاً في فضله وأدبه وعلمه، بل

أنشأ الرافي أول مقالة في النقد عام 1905م، وكانت عن الشعراء في عصره، فقام بتصنيفهم في أربع طبقات وجعل نفسه رابع شعراء الطبقة الأولى بعد: البارودي، وحافظ إبراهيم، والكاظمي. وتناول شعر كل واحد منهم بالنقد أو الثناء، وكان في مقالته "شيئاً من أخلاق الرافي المزهو بنفسه، المعتقد بعلمه، القوي بإيمانه، المتفحم على مواطن الهلاك..". (10) وأخفى اسمه حذر التهمة؛ فنشرتها مجلة "الثريا" ودعت الشعراء والأدباء إلى الرد على مقالة هذا المغرور المجهول، قائلة: ومن لم يدع عن حوضه بسلاحه..

يهدم، ومن لا يظلم الناس يُظلم!

وكان الرافي يهدف إلى إبراز اسمه بين الشعراء الفحول، والدعاية والشهرة لنفسه التي يراها لا تقل عنهم إبداعاً وتميزاً. ثم كانت له صولات وجولات أدبية في النقد مع العديد من الأدباء مثل المنفلوطي، وزكي مبارك، وعبد الله عفيفي، لكن أشهر معاركه الأدبية وأكثرها ضراوة كانت مع الأدبيين البارزين: طه حسين، وعباس العقاد، وقد بقي التاريخ والأدب شاهدين على هذه المعارك!

أما طه حسين، فقد كان من محرري جريدة السياسة الأسبوعية، وقد تبنت مجلته رأياً جديداً في اللغة والدين، وكتب الرافي كلمات يخاطب بها طه حسين في ظاهرها المدح، وفي باطنها الذم وعاب عليه ضيق الفكرة، والتكرار في الأسلوب؛ ونشرها طه حسين في مجلته دون أن يعي قصد كاتبها، وحين تنبه لذلك، أسرها في نفسه، وتلك كانت الشرارة الأولى للحرب. وحين نشر الرافي كتاب حديث القمر عام 1912م، كتب طه حسين مقالاً ينتقده ويقول أنه لم يفهمه، وذكر كتاب الرافي "تاريخ آداب العرب" وأشهد الله أنه لم يفهمه أيضاً!

وحين زاره الرافي في مكتبته بالجريدة رد عليه قائلاً: الذي لا تفهمه أنت يفهمه سواك، وإن الله خلق رؤوساً غير رؤوسك وعقولاً غير عقلك، وإنه ليس من أحد يعترف أنك مقياس العقل الإنساني في الأرض. (11)

وحين انتقد طه حسين كتاب رسائل الأحران الذي أهده الرافي لجريدة السياسة عام 1924م، تم إعلان الحرب بينهما! فألقى الرافي قذيفته الأولى، ونشر مقالاً يرد على طه حسين، بدأه قائلاً: إلى الأستاذ الفهامة الدكتور طه حسين، يسلم عليك المتبني ويقول لك: وكم من عائب قولاً صحيحاً.. وأفته من الفهم السقيم! (12)

هو عندي أشياء كثيرة، بل هو مكتبة تنطق كتبها..." (16) وبناء على ما سبق فقد يظن القارئ أن الراجعي كان يدعو إلى الجمود في اللغة وأدائها والاقتصار على لغة القدماء، لكن الحقيقة أنه كان يدعو دوماً لاستحداث آداب جديدة تضاف للغة ولا تنقص منها، تقويها ولا تضعفها، فهو: "لم يكن يعني لحملته أن يناهض كل جديد، بل كانت غايته أن يرد إلى الأفواه كل لسان يحاول بدعوى الجديد، أن ينتقص من القيم ليخلص من ذلك إلى النيل من لغة القرآن والحديث، ومن تراث أدباء العربية الأولين". (17)

معارك الراجعي مع العقاد

"إن معركة تدور رحاها بين العقاد والراجعي جديرة بأن يحتفل لها الأدباء، وأن تنال من اهتمامهم أوفى نصيب، وإن لهم فيها متاعاً ولذة وفائدة!" (18)

لا عجب أن تتقلب العلاقات بين البشر وتتبدل مشاعرهم، لكن أكثرها دهشة ما كان بين الراجعي وعباس العقاد اللذين لم يكن بينهما إلا الصفاء والود، حتى أن العقاد كتب عام 1917 م، وهو يعرف بكتاب أنشأه الراجعي: "... إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما لا يتفق مثله لكاتب من كتّاب العربية في صدر أيامها!"

هو العقاد نفسه الذي كتب عام 1933 م مقالاً يصف فيه الراجعي بأنه المهذار الأصم.

الشرارة الأولى لبدء الحرب، كانت بعد صدور الطبعة الثالثة لكتاب إعجاز القرآن للراجعي عام 1926 م، والتي طبعها الملك فؤاد على نفقته، ونُشر فيها تقرير سعد باشا زغلول الذي مدح الكتاب قائلاً:

كانه تنزيل من التنزيل، أوقبس من نور الذكر الحكيم."

وكان العقاد -حسب قول الراجعي- يرى أن له منزلة عند سعد لا يملكها أحد من الأدباء، وفي حديثه إلى الراجعي اتهمه بتزوير رأي سعد في كتابه، وتجادل الاثنان حول الكتاب وموضوعه، واحتد النقاش بينهما.

ثم نشر العقاد مقالاً ينتقد فيها الكتاب ومؤلفه، وسخر من أسلوبه وفكره، فردّ الراجعي بمقال حاد يبين خطأ العقاد وضعف فهمه، لكن مجلة (البلاغ) لم تنشره لأن العقاد كان يملك التصرف فيها، فترك الراجعي النشر فيها مغاضباً.

ثم كتب مقالات متتالية -اقترحها عليه صديقه إسماعيل مظهر

صاحب مجلة "العصور" -هاجم فيها شعر العقاد بحدة وازدري فيها أدبه وفكره، ثم جمعت لاحقاً في كتاب بعنوان على السّفود عام 1930 م، وبقي اسم مؤلفه مجهولاً عند القراء لسنوات عديدة، ومختفياً خلف لقب "إمام من أئمة الأدب العربي"، فالعقاد حسب مذهبه السياسي له شعبية واسعة عند قرائه، ومن يعادي كاتباً وطنياً فهو عدو الشعب الذي يحكم على الأديب من مذهبه السياسي.

ورغم أن هذه المقالات في النقد لم ينشأ مثلها في الأدب الحديث، إلا أن ما فيها من مر الهجاء والافتقار للتهذيب طمس على قيمتها الجمالية والفنية.

بعد وفاة الشاعر أحمد شوقي عام 1932 م، كتب الراجعي مقالة بليغة تحدث فيها عن أدب شوقي وفنه، وعبقريته، وذكر بعض الغلطات في النحو أو اللغة الواردة في أحد أبياته، ورغم عداوة العقاد لشوقي إلا أنه انتهز الفرصة للنيل من غريمه الراجعي، فرد بمقال يدافع فيها عن تلك الغلطات، ويبين وجوه صحتها عند العرب، وكتب الراجعي يُصرّ على تخطئة العقاد والمتأخرين من علماء النحو أيضاً!

بعد أشهر قليلة أصدر العقاد ديوانه وحي الأربعين، فنشر الراجعي "نقداً مرّ حامياً اجتمع فيه فنه، وثورة نفسه، وحدة طبعه"... وكانت "هذه المقالة هي خير ما كتب الراجعي في نقد الشعر، وأقربها إلى المثال الصحيح لولا هفوات قليلة يعفيها من تبعته أنه إنسان!" (19)

رد عليها العقاد بمقالة "أصنام الأدب" ونعته بالمهذار الأصم، وغلب عليها السباب والشتم مع قلة التبرير والرد، وأدار العقاد المعركة من أدبية إلى سياسية

فاتهم الراجعي في "وطنيته" لأنه يعادي كاتباً وطنياً يدافع بقلمه عن الشعب ضد الحكومة المتسلطة!

"إن للعقاد مفاجآت عجيبة في النقد، تمثل العقاد الكاتب المرن المحتال في أساليب السياسة، أكثر مما تمثله ناقداً محيطاً يدفع الرأي والرأي والبرهان بالبرهان!" (20)

خسر الراجعي الكثير من قراء العقاد الذين كانوا على مذهبه السياسي، وكسب تأييد آخرين الذين رأوا في العقاد شخصاً مغروراً يستحق التأديب.

ومات الراجعي ولا زال العداء مشهراً بينهما، ولعل الموت تكفل بإزالة الحقد والغضب بينهما، فقد كتب العقاد بعد ثلاث سنوات من وفاة الراجعي: «إن للراجعي أسلوباً جزلاً، وإن له من بلاغة الإنشاء ما يسلكه في الطبقة الأولى من كتّاب العربية

الرافعي في النقد الأدبي

توفي الرافعي في العاشر من مايو عام 1937م، وقد فني من عمره سبعة وخمسون عاماً منها أربعة وثلاثون في خدمة العربية والدفاع عنها، وكانت وفاته مفاجئة لكل من عرفه وقابله قبل أيام صحيحاً معافى، لكنه الموت لا يعرف العليل دون السليم أو الكبير دون الصغير أو الفقير دون الغني.

ومات وعلى مكتبه قصاصات لم ترتب، وكتب لم تُطبع، ومقالات لم تُنشر.

ولسوء حظه فقد كانت السياسة تطغى على الأدب في زمنه، وكان الشعب لا يحكم على الأديب أو الشاعر إلا متأثراً بمذهبه السياسي، والرافعي لم يكن له مذهب في النقد إلا مذهبه الأدبي، ولم يحمل شهادات تمنحه منصباً علمياً مرموقاً في زمن تعد الشهادات الورقية مقياساً للعلم والأدب! فمات فقيراً بلا منصب سياسي ولا علمي، ولا معاش يكفي أبناءه العشرة من بعده، ودون أن تهتم وزارة المعارف بطبع أعماله الباقية.

الهوامش:

1. الرافعي: وحي القلم، ج3، ص325، مقال فلسفة القصة.
2. محمد سعيد العريان: حياة الرافعي، ص37.
3. المصدر السابق، ص40.
4. المصدر السابق، ص103.
5. محمود أبورية: من رسائل الرافعي، ص180.
6. محمد سعيد العريان: حياة الرافعي، ص272.
7. المصدر السابق، ص89-90.
8. الرافعي، وحي القلم، ج1، ص8.
9. محمد سعيد العريان: حياة الرافعي، ص185.
10. المصدر السابق، ص72.
11. الرافعي، تحت راية القرآن، ص111.
12. المصدر السابق، ص133.
13. المصدر السابق، ص109-110.
14. محمد سعيد العريان: حياة الرافعي، ص195.
15. طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص90-91.
16. الرافعي: تحت راية القرآن، ص115-116.
17. محمد سعيد العريان: حياة الرافعي، ص204.
18. المصدر السابق، ص250.
19. المصدر السابق، ص247.
20. المصدر السابق، ص249.
21. المقال الأدبي عند العقاد جمعاً ودراسة، ص55..

مراجعة رواية حياة مستقرة

للكاتب عادل عصمت



اسم الكتاب: حياة مستقرة

اسم الكاتب: عادل عصمت

عدد الصفحات: 163

دار النشر: شرقيات

سنة النشر: 2004

إعداد: مروان محمد حامد

تدقيق: ميادة بوسيف

عن الكتاب:

رواية حياة مستقرة هي ثالث أعمال الكاتب الكبير عادل عصمت، تدور حول عائلة تتكون من الراوي وحسام ونورا. حسام الذي يعود من الحرب ببيّادة صديقه الذي توفي، وهو الذي أجبر وقتها على جمع أشلائه بيديه. والأم التي يحوم شبحها حول المكان وفي الأحداث حتّى بعد وفاتها، لكن يظل وجودها راسخاً. ونورا الأخت التي تشكل الرّعاية لحسام، والتي تقوم بالبحث عنه طوال الوقت، والراوي الذي تتشكل حكايته بحكايات الآخرين بجانب حكايته هو، الذي فقد أحلامه وخسرهما وعاد من العراق بسبب الخوف من الحرب وبسبب خبر مرض أبيه، ليعيش حياة طبيعيّة مملوءة بالهزائم، ويطارد شبح علياء حب الجامعة وأول علاقة، وماجدة الفتاة التي قلبت حياته رأساً على عقب وزوجته التي تبدو وكأن الحياة بينه وبينها فاترة، عادية وخالية من أي شيء زواج روتيني ممل.

كنت بالأم أشلاء صاحبي ، كل ما ألمها تقع مني ، وتطلع مرة ثانية. ارفع إيداه من على الأرض ، تكون معايا على دراعي ، أبص ألقاها مغروسة في الرمل ونصفها مفروود قدامي "

عن الكاتب:



عادل عصمت روائي مصري من مواليد 1959، تخرّج من كلية الآداب قسم فلسفة. له العديد من المؤلفات منها مجموعة قصص قصيرة بعنوان "قصاصات"، بالإضافة إلى عدّة روايات منها: "أيام النوافذ الزرقاء" والتي حصلت على جائزة الدولة التشجيعيّة في الرواية عام 2011، و"حكايات يوسف تادرس" الحائزة على جائزة نجيب محفوظ للأدب عام 2016، وكذلك صوت الغراب، حالات ريم، والرجل العاري، والوصايا التي وصلت للقائمة القصيرة للبوكر.

هذه الرواية تتحدث عن مسيرة حياة أفراد عاديين، شخصيات تعيش على هامش الحياة. وفي تلك الشخصيات تكمن براعة الكاتب عادل في قدرته على خلق رواية عظيمة، فهو يلقي الضوء على الهامش وعلى الأحداث العادية، فلديه قدرة أن يجعل مجرد بيادة بطلاً حقيقياً يلقي بظله على الأحداث ويجعل من مجرد بيت شينا راسخاً يجمع الجميع، وببيعه ينتهي كل شيء، يجعل البيت رمزاً يحمل العديد من المعاني ويجعل وجوده قوياً.

استطاع وصف نعل جزمة مهترئ، وكيف يمكن من خلال قصة الراوي مع نعله المهترئ أن نلاحظ حكاية جميلة تصف معاناة الراوي وهو صغير ثم معاناة طفولته وبالتالي ينعكس ظل تلك المعاناة عليه وعلى حياته كلها حين يكبر. ذلك البيت الذي كانوا يعيشون فيه جما في تقشف، وما موقفهم حين يقررون بيعه، وكيف يلتقي الماضي وشقاؤه مع أحلام الحاضر البسيطة فيجد حسام رغبة في بدء حياة جديدة، ويجد الراوي رغبة في شراء تاكسي، أما نورا فتبكي في استسلام فقدان بيتها حين انتزع منها لأنه هو الذي كان يجمعهم. الرواية تنقسم لثلاث فصول، ويتم تقديم الشخصيات بنحو متمكن في نقلات بارعة وإحكام جيد في السرد. يعطينا عادل عصمت رواية عن حياة مستقرة ظاهرياً، لكن لا شيء مستقر تحت وعائها فيمكن لقشة أن تقسم تلك الحياة وتحيلها لارتباك دائم. الأحداث البسيطة في أي عائلة يمكن وصفها هنا وجعلها أحداثاً عظيمة قادرة على نقل الشعور والأفكار. الراوي الذي يطارد بيادة بحثاً عن أخيه وهي بدورها تطارده، ثم التقاؤه بماجدة، والفضيحة التي تسببت في اهتزاز حياته مع زوجته، وكيف كانت ماجدة تضي معنى لحياته المملوءة بالهزائم. حسام الشخص الذي لا يريد الزواج ولا العمل، والذي سرق أمه التي ماتت بحسرتها واختفى ليقع في مشاكل الحياة، ثم يدرك أنه وحيد ضعيف حتى يجد طوق النجاة كما وجده يونس في بطن الحوت. الحكاية لكل شخص من منظور تختلف بعد مرور الوقت، فنجد بأن حسام والراوي يتبادلون الغضب والكره. غضب نابع من الطفولة ومن معاملتهم لبعض ومعاملة الأب لهم، لكن ذلك يذوب في النهاية.

الحياة غير مستقرة لأي شخص باطنياً، حتى ماجدة بقصصها وتكوينها الفريد. الحياة تحوي هزائماً ومرارات، ومن خلال تلك الحكايات البسيطة يتمكن الكاتب من تحليل شخصيات روايته نفسياً وفلسفياً بقدرة بليغة. قدرة تجعل من تلك الأحداث الصغيرة علامات لحياة هامشية للعديد من الناس وتحليل المهم وفرحهم. القدرة على الدخول لأعماق الشخصيات وأعماق المجتمع المصري من خلال حكايات بسيطة. حكايات شخصيات على الهامش ومن خلالها لأعماق البيوت وأعماق الحياة المصرية الحقيقية، تلك التي يعيشها الملايين. إن أغلب المصريين حياتهم عادية يذهبون للعمل ثم للبيت وتنتهي الحياة، وفي المنتصف خلافات بسيطة، لقاءات وكوب

شاي تكمن في تقليبه العودة أو الترميز لوجود الحياة كما حدث في الرواية، من هنا استطاع عادل عصمت نقل حالة نفسية فريدة يصعب وصفها.

في مشروع عادل عصمت في جميع رواياته، كانت قدرته على السرد والدخول للأعماق النفسية مختلفة. رواياته هادئة وحياة أبطالها مهما تعقدت هادئة، كل رواية لها زاوية، وهنا في "حياة مستقرة" تشعر بأنها نبع لرواياته التالية. تجد فيها باكورة فلسفته ونظرتها للحياة، حتى النظرات الجانبية التي تطورت في الوصايا وحكايات يوسف تاردرس مثلاً.

"وبدا لي من ذلك الوقت أنني خسرت كل شيء، في أعماقي كانت حريتي مقرونة بأن أنفذ حلمي، ولكوني لم أستطع تنفيذه، فما كان على سوى الرضوخ"

في تلك الرواية نجد الأمل والفشل في الحياة اليومية، وكيف يتعزى الناس منه. كيف يمكن فقدان الشغف ومعنى كل شيء في الحياة، واسترجاعه بمجرد علاقة عاطفية أو حلم بسيط تفجر فجأة. نجد ماجدة تلك السيدة التي تخبطت بين الدين والعلم والأهل، والتي بحثت عن عمل هادئ في مكتبة لتعيش في هدوء واستقرار، كانت تريد الهدوء ومجرد شخص تحكي له حكاياتها وفقط. فينهار كل شيء بحادث عبي، وينتهي بزواجها من رجل غني لتتغير شخصيتها لسيدة تبحث عن ابن من صلبها من زوج ضعيف جنسياً. ينتصر عادل عصمت لكل تلك الحكايات ويبعث لنا شعور الأمل والفقد، الحب والكره. ويرينا الحياة المستقرة ظاهرياً للأغلبية، والتي يمكن هزها وتفجيرها بحادث عابر بسيط أو ذكرى قديمة قد تبدو عادية، لكن وقعها جلي. وكيف يمكن أن تستقر بشيء بسيط أيضاً، وتكمن بساطة تلك الأحداث التي تحرك المياه الزاكرة في بساطة أهلها، فلا أحد منهم غني للغاية، ولا أحد معدم لدرجة الموت، ولا أحد منهم يشغل منصباً قوياً، أو يعيش حياة ملؤها العظمة والثراء، أو حياة خطيرة يمكن أن تلهث وراءها، بل هي حكايات بسيطة منسوجة ببراعة وهدوء ونفس محب يشكل لنا رواية قادرة على نقل روح وطاقة الحب ببساطة وفي كم قليل من الكلمات.

في تلك الرواية تشكل الحكايات مسيرة الراوي ومسيرة الجميع، أولئك الذين يسرون في طريقهم للحفاظ على حياتهم وصيانة تعاسهم، وربما فرحهم أيضاً!



كل يوم، هو يوم الأرض: 365

كتاباً لتبدأ مكتبة تغير المناخ الخاصة

إعداد: بشرى بوخافي، بوخزنة منال، سماح صلاح، معزوز إحسان، رزيق سارة، تدقيق: ميادة بوسيف

المقال الأصلي : موقع LITERARY HUB

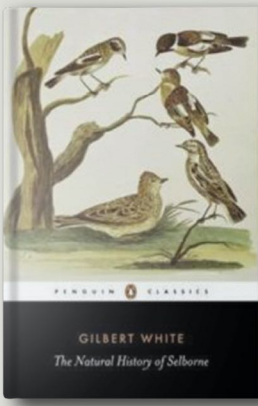
من أين أتينا وأين نحن الآن، وكيف يمكن أن ننجو من هذه الأزمة، وكيف يمكن أن نتأقلم إذا كنا لم نفعل بعد. مع مساهمات من أمثال ريتشارد باورز، ربيكا سولنيت، بيل ماك كيين، إليزابيث راش، أميناتا فورنا، ماجا لوندي، فرانشيكا أنجيلويو، ستيفن سباركس، إيمي برادي، جان بابتست ديل آمو، وغيرهم الكثير. هذه المجموعة ليست حصريّة ولا ثابتة وبمساعدة القراء والكتّاب على حدٍ سواء، نأمل أن نثرها في الأشهر القادمة (والسنوات إن أمكن). مقسمة على نطاق واسع وذاتي!- في أربعة أقسام، نبدأ اليوم ببعض كلاسيكيات هذا النوع.

إنّ فكرة تخصيص يوم واحد وتكريسه للاحتفال بالأرض فكرة سخيفة. فخلال 49 سنة منذ بدء الاحتفال بيوم الأرض، حطّمت الحضارة الإنسانيّة -والتي لم تتحلّ لا بالأخلاق ولا بالسياسة- وسببت الدمار على كوكب الأرض، رافعة بذلك مع مرور كل عام من الغلو والتقاعس، من احتمالية أن تعيش الأجيال القادمة في عالم لا يمكن للسيناتور جايلورد نيلسون التّعرف عليه، وهو الذي أراد أوّل مرّة أن يكون يوم الأرض يوماً للتّعليم والتّربية البيئيّة. لكن إذا كان هناك أي أمل في تصحيح هذا المسار المرعب، فنحن بحاجة إلى التّفكير في أنّ كل يوم على أنّه يوم الأرض.

مع أخذ ذلك في الاعتبار، توصّلنا إلى بدايات مكتبة تغير المناخ، 365 كتاباً يُوضح لنا من أين

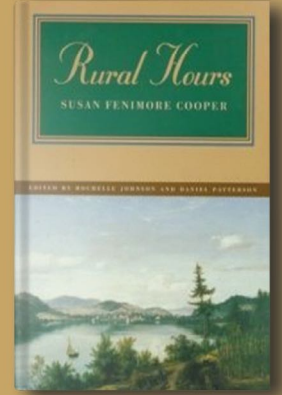
جيلبرت وايت، التّاريخ الطّبيعي لسيلبورن 1789

عشرون عاماً من الملاحظات التفصيليّة لأبرشية هامبشاير الريفية في سيلبورن، جنوب غرب لندن، رُويت بشكل رسائيّ أدبي أسر. مع مرور كبسولات الزمن، فإنّ النظر 250 سنة للخلف في العالم الطّبيعي قد يكون كألّفي سنة أيضاً



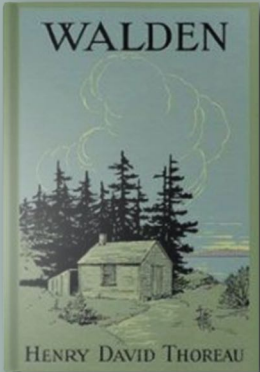
سوزان فينيمور كوبر، ساعات الريف 1850

إحدى الكلاسيكيات الجديرة بالقراءة من كتابة الطبيعة، من حافة الحدود القديمة (شمال نيويورك)؛ بوحة أسرة وجذابة لكوبرزتاون، نيويورك



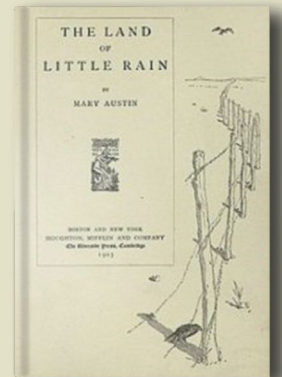
هنري ديفيد ثورو، والدن 1854

رجل، خطّة، بركة، من المرجح أنّك تعرف هذا، النصّ الأمريكي القديم حول التّنصل من المجتمع المهذّب والكتابة عنه. كانت وولدن سبباً في خلق 10 آلاف مقلد، بعضها جيّد، البعض أفضل من الأصلي، أمّا الباقي من الأفضل تركه في الغابة



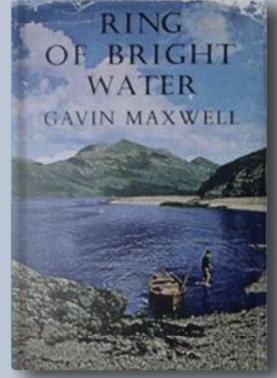
ماري أوستن، أرض المطر الصغير 1903

ماري أوستن كاتبة بدت وكأنّها تتجول بعينها الثالثة مفتوحة على مصراعها. في أرض المطر الصّغير، تتجول في الصحراء الأمريكيّة الكبرى، من موهافي إلى جبال سييرا الشرقية، على طول الطريق لقلب الحجارة والأسماء. رصدت عين أوستن الحريصة عذاباً لامعاً للغرب الأمريكي في وقت مبكر لوقتها ومكانها. سوف يتعرّف عليها أدب الأنثروبوسين من حجاب في صحراء كاديلاك الأساسيّة لمارك ريزنر، حيث يواجه أوستن وليام مولهولاند بشأن خططه لسرقة بحيرة أوين



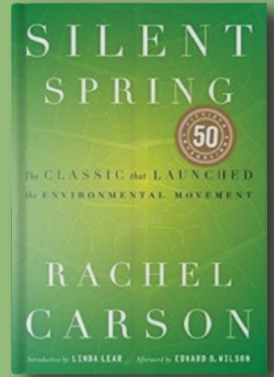
جافين ماكسول، خاتم من الماء الساطع 1960

خاتمٌ من الماء الساطع يذكر تجربة جافين ماكسول مع القنادس بمنزله النائي في سكوتلندا، إنّه حساب من الإنسانيّة مع الحياة البريّة والقيام بفهم الطبيعة، فهو يُظهر أنّه على الرّغم من التّقدم الذي نشعر به، يمكننا دائماً أن نتعلّم حول الطبيعة و الحيوانات، تمّ تحويل الكتاب إلى فيلم من بطولة بيل ترافرس و فيرجينيا ماكنّا سنة 1969



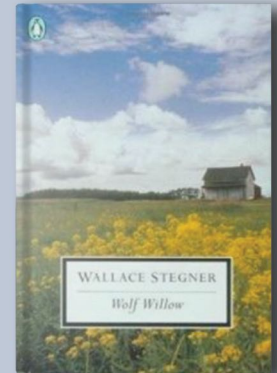
راشيل كارسون، الربيع الصامت 1962

كتاب الربيع الصامت كان ثورياً لتوثيق كيف أنّ الاستعمال غير المنظم للمبيدات الحشريّة قد أثر سلباً على كل من البيئة والبشريّة. تحدّت كارسون الصناعة الأمريكيّة الكيميائيّة في وقتٍ كان النّشاط البيئي غير مسموع به. قوبل الكتاب بنقدٍ شديد من قبل كبار منتجي الكيماويات، لكنّه أثار بداية الحركة البيئيّة الأمريكيّة وقاد إلى تغطية إعلاميّة كبرى حول الآثار السلبية للمبيدات الحشريّة. تمّ في آخر الأمر حظر استعمال في الولايات المتحدة الأمريكيّة، وتبع ذلك حظر (DDT) الذي دي تي عالمي. الكتاب ما يزال مثيراً للجدل اليوم، والعديد من النّقاد يلومون كارسون على إعاقة الإنتاج الزراعي حول العالم والسماح للملايين بالموت من الملاريا (دي دي تي كان في الأصل موجّهاً للسيطرة على الملاريا بين الجنود في الحرب العالمية الثانية). وحتى DDT اليوم، هي صورة مروّعة عن المدى الذي يمكن أن تذهب إليه الشركات عندما تكون غير منظّمة



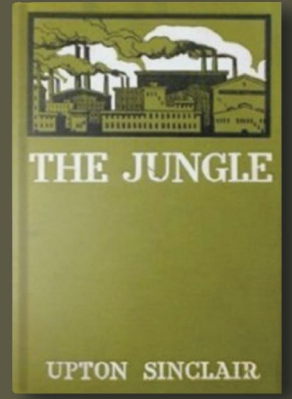
والاس ستنجر، ذئب الصفصاف 1962

والاس ستنجر هو ظاهرة غير مألوفة في التّقاليد الكبرى لكتابة الطبيعة الأمريكيّة البريّة والحرّة. منضبط، مجتهد وعمليّ، لم يكن ستنجر روائياً غزيراً، خبيراً في الطبيعة وكاتب سيرة فقط، بل كان أيضاً عضواً في جماعة ممارسة الضّغط لصالح البيئة (كلمة ناشط لا تناسبه تماماً)، مؤثراً على التّغيير داخل النّظام السياسي، المحلي والوطني. "ذئب الصفصاف" هو مذكرات انطباعيّة عن طفولته على مروج ساسكاتشوان العالية، مرثاةً للمناظر الطبيعيّة التي ستبقى مع ستنجر طيلة حياته، مُعلّمةً عن كل شيءٍ لاحق بعد ذلك



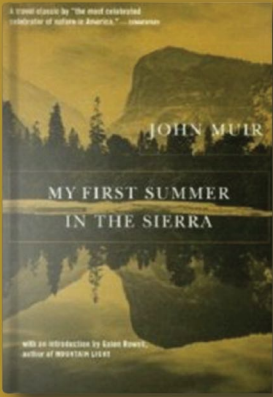
أبتون سنكلير، الغابة 1906

نظرًا لأنّ حقوق الإنسان وحقوق الحيوان والبيئة متداخلة بشكل وثيق، فإنّ "الغابة" تستحق مكانًا في قوائم الخيال البيئي. إنّ الصناعات القليلة هي التي تسيء معاملة العمّال البشريين أكثر من مزارع المصانع والمسالخ، أو أكثر تدميرًا للبيئة. والكتاب ليس مؤرخًا كما يبدو؛ في حين أنّ سلامة الغذاء قد تحسنت بالتأكيد منذ صدور الغابة، لا تزال انتهاكات الإنسان والحيوان سائدة، وكذلك التلوث الناجم عن الزراعة الحيوانية. على الرغم من أن الرواية كانت رائدة في بداية القرن العشرين، إلا أنّ لا تزال ذات صلة اليوم



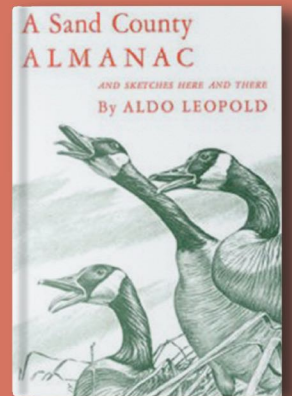
جون موير، أول صيف لي في سيرا 1911

يُصِف "أول صيف لي في سيرا" رحلة جون موير الأولى إلى جبال سيرا نيفادا بولاية كاليفورنيا، والتي تقع في ما يعرف الآن بمنتزه يوسمايت الوطني. انضمّ موير وهو مهاجر اسكتلندي شاب إلى طاقم من الرعاة واحتفظ بمفكرة أثناء رعايته للأغنام على مدى أربعة أشهر. يفصل الأفاق والنباتات والحيوانات والعجائب الطبيعية الأخرى. لم يدافع أحد عن الحفاظ على الحياة البرية في الولايات المتحدة أكثر من جون موير، الذي شارك في تأسيس نادي سيرا. كتبه الاثني عشر - ومئات المقالات - تميّزه ككاتب طبيعي وطبيعة. جلب هذا الكتاب العديد من الزوار إلى يوسمايت مع زيارة أربعة ملايين شخص كل عام. تم إنشاء منتزه سيكوي الوطني أيضًا جزئيًا بفضل عمله



ألدو ليوبولد، تقويم مقاطعة الرمل 1949

في مجموعة من المقالات، يصف ألدو ليوبولد الأرض حول منزله في مقاطعة ساوك ويسكونسن. هو يدعو إلى تكوين علاقة مسؤوليّة بين الأرض و النّاس، يعدّ أهمية خلق التّوازن بين الاثنين و يوضح التأثير السلبي لحذف نوع ماء، مثل المفترس من الترتيب الطبيعي. ولقد صاغ عبارة "أخلاقيّة الأرض"، طالبا البشر بتطوير حس جديد من الأخلاق من أجل الحفاظ على النّظام البيئي



لوحة الشرف



نجيبة عامر



قيس العايب



بشرى بوخالفي



حماد بن عيسى



منال بوخرنة



سجاد ثائر



سماح صلاح



عبد الرزاق حجاج



إحسان معزوز



رابع رزيق



ربيحة كرنيف



علي عقيلي



نسرين لخروم



إدريس قوادري
بوجلطية



اميرة بوسجيرة



رامي نزلي



غادة لطرش



نصر الدين بلبكري



مغادشة عبير



عمر دريوش



مروان حام



حفصة الوالي

النقطة الزرقاء
BLUE DOT

